مرقس
رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام
مارس ٢٠٢٣

التجربة على الجبل

«ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا» (مت ٤: ١و٢).

ثم جرَّبه الشيطان ثلاث تجارب: التجربة الأولى، ردَّ عليه المسيح فيها: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ» (عدد ٤). وفي التجربة الثانية، ردَّ عليه: «مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ» (عدد ٧). وفي الثالثة، ردَّ عليه: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (عدد ١٠).

(عن أيقونة من القرن الثاني عشر بكنيسة ميلاد المسيح، سيسيليا، مونريال)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٧ مارس ٢٠٢٣م.

العدد ٦٤٢ أمشير/ برمهات ١٧٣٩ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

الأسرة أيقونة الكنيسة ١

مقال للأب متى المسكين

لزومية الآلام وسرقة الملكوت ٥

من كتابات القديس القمص بيشوي كامل:

عثرة الصليب، جهالة الصليب، وقوة الصليب..... ١٠

بمناسبة عيد الصليب:

الصليب واللص اليمين ١٤

مقال مترجم :

صَلْب يسوع..... ٢٠

من التراث الكنسي: معرفة الله (٢) ٢٨

ادخل إلى العمق (٣١):

كنوز روحية من رموز العهد القديم: تيس عزازيل ٣٢

دراسان ليتورجية:

الحياة الليتورجية في كنيسة الإسكندرية (٢) ٣٧

بحث تاريخي: دير القديس أنبا بلامون (تابع)..... ٤١

تقديم كتاب: الأُسُس الآبائية لتفسير الكتاب المقدس..... ٤٥

مقال بالإنجليزية:

Our Duty during Lent (2) ٤٨

من تعليم آباء الكنيسة

للقديس غريغوريوس النيسي

ما بال ثيابُك حمراء؟

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✞❁

[«أَدْخِلُونِي إِلَى بَيْتِ الْخَمْرِ ...
لأنِّي مجروحةٌ حبًّا» (نش ٢: ٤-٥س)
كم نالت (النَّفسُ) حتَّى الآن؟
لكنَّها لا تزال عطشَى أيضًا!
بل لقد بلغَت بها شدَّة العطش
أنَّها لم تَعُدْ تَقْنَعْ بوعاء الحكمة
(«الحكمة بَنَتْ لها بَيتًا،
ومزجَت خمرَها في الأوعية» (أم ٩: ٢، ٥س)) [...]
بل تَطلب أن يقودوها إلى ذات بَيت الخمر،
فتضع فمَها تحت ذات المعاصر الَّتي تَفيض بالخمرِ الحُلو،
وترى العنقود وهو يُعصَر في المعاصر،
وتلك الكرمة الَّتي أثمرَت مثل هذا العنقود،
وكرَّامَ الكرمة الحقيقيَّة الَّذي أثمرَ عملُهُ عنقودًا
هكذا نافعًا وحُلوًا [...]
فإنْ كان ثَمَّةَ سِرٌّ تشتهي العروس أن تتأمَّله، فهو هذا:
كيف صارت حمراءَ ثيابُ العريس الَّذي داس المعصرة،
هذا العريس الَّذي قال عنه النَّبيُّ: «ما بالُ ثيابُكَ حمراءَ،
ولِباسُك كدائس المعصرة» (إش ٦٣: ٢س)؟].

تفسير نشيد الأنشاد ٤: ٨

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا – القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد
أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة اثنا عشر جنيها
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
١٢٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
١٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)
٤٠٠ جنيه: في البلاد العربية
١٠٠ دولار أمريكي: في البلاد الأخرى
يُسدد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**
عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٣
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

الافتتاحية

الأسرة

أيقونة الكنيسة

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

✠✠✠

«تَمِّمُوا خَلاَصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ. اِفْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دَمْدَمَةٍ وَلاَ مُجَادَلَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا بِلاَ لَوْمٍ، وَبُسَطَاءَ، أَوْلاَدًا للهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ. مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ لاِفْتِخَارِي فِي يَوْمِ الْمَسِيحِ، بِأَنِّي لَمْ أَسْعَ بَاطِلاً وَلاَ تَعِبْتُ بَاطِلاً» (في ٢: ١٢ – ١٦).

عنوان "الأسرة أيقونة الكنيسة" كتبه القديس يوحنا ذهبي الفم منذ القرن الرابع الميلادي، فنحن نضع على الحائط أيقونات لقديسين سبقونا إلى السماء، أمَّا الأسرة فهي أيقونة الكنيسة الحاضرة وزينة المجتمع. فالأسرة لها تأثيرٌ كبير على المجتمع الذي تعيش فيه، وهي الكيان الذي يستطيع أن يُعبِّر عن قوة بناء المجتمع.

وحدة الأسرة المسيحية وتماسكها:

الأسرة المسيحية تعتمد على وجود المسيح فيها، لذلك نقول إن الأسرة أيقونة شاهدة للمسيح، ونحن نؤمن أن الأسرة رابطة ثلاثية مكوَّنة من: السيد المسيح، وهو، وهي. فهي ليست رابطة ثنائية فقط، يقول الكتاب: **«الْخَيْطُ الْمَثْلُوثُ لاَ يَنْقَطِعُ سَرِيعًا»** (جا ٤: ١٢).

والأسرة هي كيان حب، فالأب والأُم يستمدُّون الحب من المسيح، ثم يُقدِّموه لأبنائهم وبناتهم، كما يقول الكتاب: «**مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ**» (مت ١٩: ٥ - ٦). ويعيش هذا الكيان، ويُسمَّى كيانًا زيجيًّا، وتصبح هي زوجةً وهو زوجًا.

وهذا الاتحاد الزيجي هو اتحادٌ بحضور المسيح فيه. لذلك فالأسرة **هي الأيقونة الشاهدة لعمل المسيح، وهي أيقونة مُدشَّنة بالكنيسة،** بمعنى أنها مُخصَّصة أو مُكرَّسة للكنيسة. ونقول في الترنيمة: "كنيستي كنيستي كنيستي هي بيتي، هي أُمي، هي سر فرح حياتي".

وتعبير هي أُمي يعني أن الأسرة وُلِدَت في الكنيسة. ومن الطقوس الجميلة في الكنيسة المقدَّسة أن العريس والعروسة يقومان بالركوع أمام المذبح، ثم ينطلقون من المذبح إلى البيت الجديد، وكأنَّ نقطة الانطلاق هي المذبح أي قلب الكنيسة.

ثانيًا: إن أيَّ شخصٍ يولد في الكنيسة من خلال سرِّ المعمودية وتصير الكنيسة هي أُمه؛ ثالثًا: لأنني تثبَّتُ من خلال سرِّ الميرون في الكنيسة، فالأسرة أيقونة مُدشَّنة داخل الكنيسة، وتصير الأسرة مدرسة لها مسؤولية فائقة وممتدَّة عَبْر الزمن.

وليس عبثًا أن أول معجزة للسيد المسيح، كانت في عُرْس قانا الجليل (يو ٢: ١ – ١١). فالأسرة هي الأساس لتكوين أيِّ إنسانٍ، فالأسرة مدرسة بها ثلاثة علوم رئيسية وهي:

أولًا: علم الصلاة:

فيتعلَّم الطفل الصلاة داخل الأسرة، ومحظوظٌ هو الطفل الذي ينشأ في وسط والدَيْن يُصلُّون أمامه سويًّا، لأن هذا يُعلِّمه الصلاة بطريقةٍ تلقائية، وتصير حياته صلاة.

فالأسرة مدرسة صلاة، وذلك خلال الحياة اليومية، ومن خلال كل ما يواجه الأسرة من مشاكل أو ضيقات، وأيضًا من خلال البركات التي يُعطيها الله، فتقف الأسرة تُقدِّم الشكر الله. وهي مدرسة صلاة في الاحتفال بأعياد القدِّيسين وعمل التماجيد لهم.

ثانيًا علم الإيمان:

فالطفل يتعلَّم الإيمان من خلال والديه، وما أجمل أن يتعلَّم الطفل في البيت الصلاة من أجل معرفة إرادة الله في أمرٍ ما، أو في الصلاة من أجل أن يتدخل الله لحلِّ مشكلةٍ ما. وهنا قصة عن أحد ملاجئ الأطفال أو كما نُسمِّيها "بيوت الضيافة"، وقد ضاق المكان بأطفاله، فذهب الأطفال مع المُشرفة إلى الأب الأسقف لحلِّ هذه المشكلة، وبدأ الأطفال يُصلُّون أن يُعطي الله لهم بيتًا كبيرًا بحديقة (على حدِّ تعبير الأطفال).

وبعد فترة قليلة سمع الله لصلواتهم ورتَّب لهم بيتًا كبيرًا بحديقة، وهذا نتيجة الصلاة بإيمان. فالإيمان هو الذي يجعلنا نثق أن الله سيعمل ويُدبِّر الأمر بصورةٍ لا نعرفها. وهكذا عندما تُشجِّع الأُم ابنها في الامتحانات وتقول له إنها ستُصلِّي من أجله، طوال فترة أدائه الامتحان، وأن عليه أن يثق أنَّ الله لن يُضيِّع تعبه باطلًا؛ وهذا في سائر المواقف الحياتية.

ثالثًا: علم الخدمة:

البيت المسيحي الناجح يخلو من الأنانية والذاتية ويكون منفتحًا على الآخرين، وهذا يساعد الأطفال أن يتعلَّموا ما هي الخدمة، فمثلًا هناك آباء يُقدِّمون المصروف للطفل في يوم مدارس الأحد حتى يتمكَّن الطفل من تقديم العطاء من مصروفه ويتدرَّب على ذلك.

وعلى الآباء أن يُعلِّموا أطفالهم كيف يُمكنهم مساعدة زميلٍ إن كان لا يستطيع شراء بعض مستلزمات الدراسة البسيطة، مثل: القلم أو المسطرة أو غير ذلك. كما أن الآباء والأُمهات لهم دور في خدمة الكنيسة بأيِّ صورة.

إذن، الأُسرة التي هي أيقونة مُدشَّنة للكنيسة، هي مدرسة نتعلَّم منها الصلاة والإيمان والخدمة.

والأسرة أيضًا قدوة لأعضائها وقدوة للمجتمع، ومن تقاليد مجتمعنا أننا قد نسأل عن أسرة معيَّنة: هي من أيِّ عائلة؟ فيقولون: من عائلة فلان، فيكون التعليق: هم أُناس طيِّبون، أو العكس.

فمثلًا أيقونة العذراء هي قدوة لنا في هدوئها ووداعتها وجمالها وصمتها و... فالأسرة

هي قدوة، فمثلًا قد نسأل الطفل: ماذا تريد أن تكون عندما تكبر؟! يقول: أريد أن أكون مثل أبي. وفي هذا دليلٌ على قدوة الأب أو الأم لأبنائهم.

فمثلًا في سيرة القديس مار مرقس قد نتساءل: من أين أتى بالشجاعة التي جعلته يذهب للكرازة في ليبيا ثم إلى أورشليم ومنها لروما ثم يعود إلى ليبيا مرَّةً أخرى، ثم يأتي للكرازة في مصر؟! والإجابة: إن أُمَّه كانت خادمة مؤمنة سخيَّة العطاء، فأخذ منها القدوة التي ساعدته في رحلاته التبشيرية.

ونسمع عن القديس تيموثاؤس تلميذ بولس الرسول الذي قال عنه القديس بولس إنه تعلَّم من الإيمان الذي سكن في جدَّته لوئيس وأُمه أفنيكي (٢تي ١: ٥)، فقد تعلَّم القديس تيموثاؤس من القدوة التي رآها في أسرته.

وأتذكَّر أنني كنتُ في زيارة لأحد البلاد الثلجية، وأثناء الزيارة ذهبتُ لافتقاد إحدى الأُسَر، وكان البيت مكونًا من ثلاثة أدوار، وقد لاحظتُ أن المنزل كل أنواره مُضاءة؛ فقلتُ لربِّ البيت: لماذا كل الأدوار مُضاءة ونحن نجلس جميعًا في الدور الأول؟

فقال لي: إن أبي علَّمني أنه إذا جاء سيِّدنا لزيارتنا، يجب أن تُضاء أنوار البيت كله كنوعٍ من الفرح أو السرور، رغم أنَّ هذا الشخص قد ترك مصر منذ أكثر من ثلاثين عامًا! فالقدوة هي أحد سمات الأيقونة المُدشَّنة التي هي الأسرة المسيحية.

إننا نحتفل في شهر مارس من كلِّ عام ببداية الربيع ومعه عيد الأُم وعيد الأسرة، وجيِّد أن تحتفل كلُّ أُسرةٍ بعيد تكوينها في المسيح (يوم الزواج)، ويكون يومًا مُبهِجًا روحيًّا بأيقونة الكنيسة الحيَّة. كما أننا نحتفل في هذا الشهر بتذكارات عديدة لآباء وقدِّيسين، وهم جميعًا نتاج أُسَر مُباركة عاشت كأيقوناتٍ حيَّة في الكنيسة، وأنجبت هؤلاء القدِّيسين الذين صاروا شموعًا مُضيئة في تاريخ الكنيسة المُعاصر.

البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين

لزومية الآلام وسرقة الملكوت[1]

⊙✠⊙

الآلام واسطة لنيل الكمال المسيحي:

الآلام هي سِمَة أساسية لتكميل الإنسان المسيحي والمسيحية عمومًا، فلا يمكن أن يكون إنسانٌ مسيحيًّا كاملًا أو قد نال الكمال المسيحي إلَّا بواسطة الآلام: «بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ» (أع ١٤: ٢٢). وفي الحقيقة، إنه من الدقَّة أن تُترجم كلمة "ينبغي" بـ"**يتحتَّم**" أي بتأكيدٍ مُلزِم، أن ندخل ملكوت الله.

وهذا بالنص ما قاله المسيح عن نفسه: «كَانَ يَنْبَغِي (يتحتَّم، لابدَّ) أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ» (لو ٢٤: ٢٦).

فالآلام لابد منها لتكميل المسيحي بالخلاص في هذا الدهر وفي الدهر الآتي.

فهنا في هذا الدهر يتكمَّل الإنسان بالخلاص يومًا فيومًا بواسطة الآلام، أمَّا تتميم وتكميل الخلاص النهائي والكامل، فهو هناك في السماء، حيث تنتهي الآلام والأحزان ويمسح الله كل دمعة.

منهج تكميل الخلاص بالآلام:

منهج الخلاص المسيحي، حسب الإنجيل والرسل والآباء والمسيح نفسه رئيس إيماننا ومُكمِّله، لابد ويتحتَّم أن يتكمَّل هنا بالآلام.

للأسف، لقد سقط في جيلنا هذا منهج تكميل الخلاص بالآلام، وصار الخلاص مجرد نظرية أو تأمل عقلي يُفرِّح العقل ويُلهب العواطف (هلّلويا، خلصت!)؛ بل صار الإنسان يتحايل في فصل الخلاص عن أيِّ مُعاناةٍ أو احتمالٍ للألم. وهذا، للأسف، ما يقع فيه الإنسان العادي، بل وحتى آباء الاعتراف والمُرشدون الروحيُّون.

---

(١) مقتطفات من حديثٍ خاص للاب متى المسكين مع بعض الآباء في الساحل الشمالي، الأحد ١٩٩١/٧/٢٨م.

فمثلًا يذهب واحدٌ إلى أب الاعتراف ويشتكي له أنه يُعاني من ضيقاتٍ كثيرة، وقد أصابته خسارة مادية أو ظلم وهُضِم حقُّه؛ وبدلًا من أن يوجِّهه أب الاعتراف التوجيه الصحيح، بأنَّ كلَّ هذه الآلام هي ضرورية لتكميل خلاصه، وهي ضمن خطة وتدبير خلاصه، وبدلًا من أن يقوده للشركة في صليب المسيح وآلامه ثم في مجده؛ نجد أب الاعتراف يُخفِّف عنه ضيقاته ويُهوِّنها عليه، بأنه سوف يُريحه منها، أو يأخذ له حقَّه الذي ظُلم فيه، أو يردُّ له كرامته التي امتُهنت. وكأنَّ أب الاعتراف لكي يصير في نظر الذين يعترفون عليه أبًا بمعنى الكلمة، ينبغي أن يُدافع عن أولاده ويردَّ لهم كرامتهم المفقودة وحقوقهم المُغتَصَبة!

هذا مفهومٌ خاطئ لمنهج الخلاص، به يُعوِّق أب الاعتراف أولاده عن تقبُّل احتمال الآلام؛ وبالتالي يُعوِّقهم عن الكمال المسيحي وتكميل الخلاص. فلابد من الآلام لتكميل الخلاص ونيل الكمال المسيحي والحياة المسيحية الكاملة.

ضرورة الآلام في حياة المسيحي:

مرةً كنتُ أتكلَّم عن ضرورة الآلام في حياة المسيحي، وأنه لابد للإنسان أن يجوز الآلام حتى يصير مسيحيًّا كاملًا، فقال لي أحدهم بضيقٍ: وهل لابد لنا من الآلام؟ قلتُ له: لابد. فنظرتُ إليه فوجدته مال برأسه، فظننتُ أنه كان يُفكِّر في الأمر، إلَّا أنني لاحظتُ أنه نام من كثرة الحزن!

وكان معه في ذلك الوقت أخٌ آخر، هذا لمَّا رأى أن زميله قد نام من كثرة الحزن والتأثُّر من كلامي على ضرورة الآلام في حياة الإنسان المسيحي، قال مُفتخرًا: إني مُتعجِّبٌ من هذا، كيف تقول بضرورة الآلام في حياتنا وأنا شخصيًّا لم أُعانِ قط من أيِّ ألمٍ، وحياتي تخلو تمامًا من الآلام، فأنا سعيدٌ مع أسرتي، وناجحٌ في العمل جدًّا، ولي علاقات اجتماعية طيبة، وكل شيء على ما يرام! فقلتُ له: لا تتحدَّى المسيح، لابد من الآلام والصليب. وإذا كانت حياتك الآن خالية من الآلام كما تدَّعي، فإما أنك تتهرَّب من الآلام بكل وسيلة، أو أنك تغش نفسك وترشي الآخرين لكي لا تأتي عليك الآلام.

وفي اليوم الثاني، جاءني هذا الأخ، وألحَّ جدًّا في مقابلتي لأمرٍ هام، ولمَّا قابلته أقرَّ

معترفًا، وقال لي: "بالفعل، يا أبونا، كلامك صحيح جدًا، وأنا أكبر غشَّاش. كنتُ أغش نفسي أنني سعيدٌ خالٍ من الآلام. وكنتُ أرشي الآخرين بالهدايا والمال حتى لا تأتي عليَّ الآلام وأعيش بعيدًا عنها. وأنا من اليوم سوف أكفُّ عن ذلك وأتقبَّل الآلام وأحمل الصليب مهما كان الأمر". وبالفعل هذا الأخ المُبارك لمَّا بدأ يستفيق لمعنى الآلام كضرورة لازمة للخلاص، سعى بنفسه نحو الآلام، ومرَّ بآلامٍ كثيرة.

نعم، إنَّ الآلام ضرورية لتكليل الإنسان المسيحي وتكميل خلاصه. فإن تقبَّلها يُرفع في الحال ثلاثة أرباع تأثيرها الصعب. أمَّا إن كان يسعى نحو الألم ويفرح به، فسيُرفع ويُفقد تمامًا تأثيره عليه، ويسود هو على الألم.

تجاوُز الألم الاضطراري بالألم الاختياري:

هناك معادلة سرِّية عند الله يمكن بواسطتها أن يرفع الله الألم عن الإنسان، وهي: تجاوُز الألم بالآلام، أي تجاوُز الألم الاضطراري بالألم الاختياري. بمعنى أن تَقبل الألم طواعية بإرادتك، وتجري وراءه، فتتجاوز الألم الذي يسمح به الله بغرض اتضاعك. فالله يُرسل إليك الآلام لتتضع، فإن تقبَّلتَ الآلام بنفسك من الآخرين، وجريتَ وراءها باتضاع كفَّت عنك الآلام التي بسماح من الله. فمثلًا إن أتت عليك إهانة أو ظلم وتقبَّلته وسُرِرتَ به باتضاعٍ وانسحاق كأنك مستحقٌّ لأكثر منه، فللحال يرفع الله عنك الألم الاضطراري الذي أعدَّه لك لاتضاعك.

هذه هي صناعة القديسين: تجاوُز الألم الاضطراري بالألم الإرادي الذي كانوا يسعون إليه ويجرون وراءه ويشتهونه. القديسون لم يصيروا قديسين إلَّا حينما تجاوزوا آدميتهم وكرامتهم، وماذا يقول الناس عنهم. فجروا وراء المهانة والمذلَّة والمحقرة بإرادتهم، فأحسُّوا وسطها بالفعل بالراحة والسعادة، التي هي أسمى من راحة وسعادة عرش المملكة، وبهذا ارتفعوا وسموا فوق آلام الدهر كله.

أمثلة:

+ الهبيلة المذكورة في بستان الرهبان، وكيف كانت تقبل المهانة والمحقرة من الراهبات، وتُسرُّ بها، حتى أنها ارتفعت وسَمَت فوق كل الآلام، ولم تَدِنْ قط من آلَمَها أو

أهانها من الراهبات؛ بل وصفتهن بصفاتٍ فاضلة. وبهذا انتصرت على الآلام وصارت أسمى مرتبة في الروحيات من كل الراهبات جميعًا (بستان الرهبان ١٢٢٥).

+ الراهب الذي ترك ديره لأنه اعتبر مَنْ فيه آباء قديسين، وذهب يبحث عن ديرٍ يُشتَم فيه ويُهان ليسرق الملكوت (بستان الرهبان ١٠٣١).

فن سرقة الملكوت:

هناك فن يُدعَى فن سرقة ملكوت السموات، به سرق القديسون ملكوت الله.

والأمثلة في حياتنا كثيرة بلا حصر:

+ شخصٌ يتهمك زورًا بأنك كذابٌ، فتصمت ولا تُدافع عن نفسك، أو تُصحِّح الاتهام، بل ربما تقول: أنت على حقٍّ، فأنا لستُ كذَّابًا فقط، بل تزيد على ذلك صفات رديئة... هكذا فعل أنبا أغاثون حينما اتهمه البعض بصفاتٍ باطلة، فلم يُدافع عن نفسه، بل أيَّد وقَبِل بمسرَّة كل ما قيل عنه من أكاذيب.

ولكن إن دافعتَ عن نفسك وعن كرامتك بانفعالٍ وغضب؛ فبدل من أن تسرق الملكوت باتضاعك، يسرق الشيطان منك الملكوت بدفاعك وتبريرك لنفسك.

+ آخر يهينك ويشتمك، فتتصرَّف وكأنك لم تنتبه ولم تسمع شيئًا، بل تُقدِّم له خدمة، فيخجل ويحتار جدًّا من اتضاعك، فتربح نفسه ونفسك معًا، وبهذه الطريقة تسرق الملكوت.

فبمثل هذه المواقف البسيطة، نسرق الملكوت، ونربح المُسيئين، ونقتني أنفسنا، هذا فن أدركه القديسون ومارسوه. ونحن ينبغي أن نتبع آثارهم ونُمارس فنهم في سرقة الملكوت.

+ موقفٌ آخر: إن اشتهى أحدٌ شيئًا ما يخصُّك وتركته له عن محبةٍ وإلحاح، فأنت تسرق بواسطته الملكوت.

+ مثلما فعل أحد الشيوخ، الذي عندما أحسَّ أن هناك مَنْ يريد أن يسرق رداءه الغالي، قام عن الرداء الذي لم يُسدِّد حتى ثمنه، وسمح للسارق أن يسرقه ويمضي، وبهذه السرقة للرداء سرق هذا الراهب الملكوت (بستان الرهبان ١١٨٤).

+ وقصة أخرى عن شيخ، كان يسرق راهبٌ عمل يديه، والشيخ يَكِدُّ ويتعب أكثر ليحصل على طعامه الضروري دون أن يوبِّخ ذلك الراهب السارق طول حياته. وعند وفاة الشيخ، قال للراهب: اقترب مني يا ابني. فلما اقترب منه قبَّل يديه وقال له: بهاتين اليدين اللتين كانتا تسرقاني، أنا أسرق ملكوت السموات. فندم الراهب السارق وتاب. وسرق الشيخ بالفعل ملكوت السموات باحتماله وطول أناته وصبره (بستان الرهبان ٧١٠).

فسرقة الملكوت سهلة لِمَن يستغل المواقف التي فيها تذبح ذاتك بقبول الإهانة والمذلَّة من الآخرين، وتذهب إلى المسيح حاملًا ذاتك المذبوحة بالاتضاع على كفِّك وتُقدِّمها إلى الرب، فيقول لك: "الذبيحة لله روح منسحق، تعال يا مُبارك أبي، رِثْ الملكوت المُعدَّ لك".

المتواضعون وحدهم هم سُرَّاق الملكوت:

السماء هي للمتواضعين المُنسحقين، الذين أنكروا ذواتهم بإرادتهم وأحبُّوا المهانة والمذلَّة وسعوا إليها برغبتهم، هذه هي صناعة وفن سرقة الملكوت.

هل تعتقدون أن الخدمات الكثيرة والأنشطة الكنسيَّة المتعدِّدة وقراءة مكتبات دينية كاملة توصِّل وحدها للملكوت؟ لا، لا يمكن أن يوصِّلك كل هذا للملكوت، إن لم تَخْتَر أنت المذلَّة والإهانة لذاتك، وتجري وراء المحقرة والأعمال الحقيرة.

وكما قلتُ سابقًا: سرقة الملكوت فنٌّ لا يعرفه إلَّا المتواضعون المُنكرون لذواتهم.

فكل مَنْ يحمل أخطاء الآخرين على نفسه، وينسبها إلى ذاته، بل ويتقبَّل المهانة والتوبيخ عن الذين اخطأوا؛ فقد استطاع أن يقتني فن سرقة الملكوت.

لقد قرأتُ ورأيتُ في حياتي نماذجَ رائعة من الآباء المُتضعين الذين اقتنوا بأعمالهم فن سرقة الملكوت، وصارت تنطبق عليهم الآية: «مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ (يُسرق)، وَالْغَاصِبُونَ (المتواضعون) يَخْتَطِفُونَهُ» (مت ١١: ١٢).

من كتابات القديس
القمص بيشوي كامل

عثرة الصليب، جهالة الصليب، وقوة الصليب[1]

❀ ❀ ❀

هذه مواقف ثلاثة للصليب إزاء الإنسان كشفها القديس بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١كو ١: ١٨-٢٥):

أولًا: عثرة الصليب

أنت يا رب قلتَ: "ويلٌ للذي تأتي بواسطته العثرات" (انظر: لو ١٧: ١)، فكيف يكون الصليب عثرة؟ إنَّ الصليب في ذاته ليس عثرة، لكنه لليهود عثرة. والتهوُّد حركة رديئة باطنية في نفس الإنسان، يُعثرها الصليب. فحبُّ الرئاسة والمال والأنانية والشكلية والظهور على أزقَّة الشوارع، كلها حركات يهودية يقف أمامها الصليب دائمًا عثرة.

يا نفسي:

عندما تتطلَّعين لحبِّ الرئاسة، فإذ بيسوع يقول لك: «... أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مت ٢٠: ٢٨).

الصليب عثرة لكِ – يا نفسي الأنانية – عندما تتطلَّعين ليسوع المصلوب باذلًا ذاته بلا حركة على الصليب.

عثرة لكِ، يا نفسي، المُشارِكة لصيارفة اليهود وباعة الحمام، عندما تتطلَّعين إلى يسوع على الصليب مُجرَّدًا حتى من ثيابه.

عثرة لكِ، يا نفسي المُحِبَّة للظهور، عندما ترين يسوع مرذولًا مصلوبًا يُحذِّرك من الصلاة في الأزقَّة وزوايا الشوارع.

عثرة لكِ، يا نفسي، عندما لا تحتملين مَنْ يخدش كرامتك، لا في المنزل ولا في العمل ولا

---

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد أكتوبر ١٩٧١.

حتى في خدمة الكنيسة.

عثرة لكِ، يا نفسي، عندما تشتهين المتَّكأ الأول، وصوت الرب يدعوكِ للمتَّكأ الأخير.

عثرة لكِ، يا نفسي، التي تُقيمين حفلاتك لأصدقائك وأغنياء جيرانك، ولا تدعين العُرج والجُدع والمساكين.

يا نفسي إنَّ نكسة اليهود تُهدِّدك كل يوم، وسيظل صليب ربنا عثرة لك عندما ترتدِّين عن حياة الحب والاحتمال والخضوع إلى حياة الكراهية وسرعة التعب والهروب من الباب الضيق.

ربي يسوع: أنتَ أوصيتني بالحق أن أحمل صليبي كل يوم وأتبعك، وبلا شكٍّ كان قصدك أن تحميني من أمراض التهوُّد التي تُهدِّد نفسي الشقيَّة.

أمَّا الكنيسة: فقد ظلَّت مُهدَّدة باليهودية؛ ولكنها انتصرت على نكسة التهوُّد بعثرة الصليب. وهذا ما أعلنه الرسول بولس بصراحة أنه إذا خضع للفكر اليهودي والختان يجعل عثرة الصليب تنتفي (غل ٥: ١١). وحارَبت الكنيسة المُلك المادي الألفي، وجاهدت مدرسة الإسكندرية في ذلك، مؤكِّدة أن ليس لنا هنا مدينة باقية، ولكن لنا هنا صليب نحمله وباب ضيِّق ندخله.

وفي القرن العشرين: فإنَّ مؤتمرات الكنائس التي تفاهمت مع الفكر اليهودي بعيدًا عن الدعوة للتوبة، هي بالحقيقة قد ألقت سلاحها – أي صليبها – لأن عثرة الصليب قد انتفت وخرجوا من المؤتمرات متصافحين، ولكن بدون صليب.

ثانيًا: جهالة الصليب

ربي يسوع، أنت أعلنتَ لي أن الصليب هو حكمة الله وقداسة وفداء. إنه حكمة الله في سرٍّ: «لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ» (١كو ٢: ٨).

عندما يعجز الإنسان عن إدراك عظمة أمرٍ من الأمور، يدَّعي حقارة هذا الأمر، وهكذا فإن سرَّ التجسُّد والفداء هو من الأسرار الإلهيَّة العالية التي لا يقدر الإنسان على إدراكها، إلَّا إذا أعلنها الروح القدس له. فالإنسان عندما يُدرك أمرًا أو فلسفةً أو اختراعًا بعقله يكون سيِّد هذا الاختراع. وللأسف لقد ظنَّ الإنسان أنه يستطيع أن يفهم الله بعقله،

وبذلك يكون سيِّدًا له، ولم يعلم أن حكمة الإنسان جهالة أمام الله.

عندما تكلَّم الرسول بولس عن آلام المسيح وقيامته قال له فيلكس الوالي بصوتٍ عظيم: «أَنْتَ تَهْذِي يَا بُولُسُ! الْكُتُبُ الْكَثِيرَةُ تُحَوِّلُكَ إِلَى الْهَذَيَانِ» (أع ٢٦: ٢٤). أما الفلاسفة اليونانيون في أثينا فقالوا عنه: «تُرَى مَاذَا يُرِيدُ هذَا الْمِهْذَارُ أَنْ يَقُولَ؟» (أع ١٧: ١٨).

وفي قرننا العشرين: سيظل الصليب جهالة، سيظل الصليب هو الفرق الواضح بين يسوع المسيح وكل العالم وفلسفاته ودياناته. ستظل عقائد الثالوث والتجسُّد والصَّلْب والقيامة جهالة للآخرين وستعجز عن إقناع إنسانٍ مُلحِد لا يؤمن بهذا الإيمان، وسيتهمنا بالجهل.

وفوق ذلك، فالمسيحي الذي يتمسَّك بالحقِّ في حياته وعمله، يتَّهمه زملاؤه أنه غير منفتح الذهن. والأخت المسيحية في لبسها وسلوكها، يتهمونها بالرجعية. والمسيحي المُتسامح يتهكَّمون عليه. والإنسان المؤمن، يصفونه بأنه غير واقعي. والذي يترك العالم ليعبد الله في دير، يتهمونه بالهروب. والذي يُضيِّع وقته وماله في خدمة المسيح يقولون له: لماذا هذا الإتلاف؟

ربي يسوع: من البداءة علَّمتني أن مسيحيتي يجب أن تبدأ بِحَمْل الصليب كل يوم. سأحمله وأشهد لك ضد يونانية العالم رغم كل ما سينعتونني به إني جاهل، فالصليب جهالة.

أمَّا الكنيسة، فالعالم يفرض عليها إنجيلًا اجتماعيًّا وأخلاقيًّا بدلًا من أن يجعل الأخلاق والنشاط الاجتماعي يكونان ثمرة للحياة الروحية. لقد انزلقت الكثير من الكنائس ووقعت في فخ العلمانية. نعم كنائس الغرب تُقيم الجامعات والمستشفيات، ولكنها لا تتحدَّث عن التوبة.

ربي يسوع، لا تسمح أبدًا أن ترمي كنيستنا صليبها، وتسير وراء كنائس الغرب بدعوى التطوُّر وعدم التأخُّر عن مسيرة العالم. اجعلها تتمسَّك بصليبك للنَّفَس الأخير.

ثالثًا: قوة الصليب

١ – الصليب في طبيعته قوة وليس ضعفًا وهزيمة:

أراد هيرودس – مُمثِّل الكنيسة المختلطة بالعالم – أن يسمع كلمة من يسوع، ولكن يسوع رفض بقوة، لأنه لا شركة بين الحقِّ القوي والثعلب الماكر المُخادِع. سأل بيلاطس

يسوع عن الحق، فلم يُجِبه، لأن الحقَّ واضحٌ، فهدَّده بيلاطس بالصليب، فقال له يسوع: «لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ» (يو ١٩: ١١).

تمنَّى الفرِّيسيون ورؤساء الكهنة أن يُجاملهم يسوع في فرِّيسيتهم ورِيائهم، ولكنه شبَّههم بالقبور المُبيَّضة وهي من داخل مملوءة كل نتانة.

تمنَّى الصيارفة لو قَبِلَ منهم يسوع رشوة ولا يطردهم، ولكنه غار على قداسة بيته، وقَلَبَ موائدهم.

عندئذ تكتَّل عليه العالم في صورهِ المختلفة وهدَّدوه بالصَّلب، لكنه حَمَل الصليب، ولم يتنازل عن مبدأ واحد من مبادئه.

كان الصليب شهادة على فشلهم جميعًا.
كان الصليب شهادة على انتصار مبادئه عليهم.
كان الصليب شهادة على ضعف العالم، وعلى قوة المسيح.

إنَّ أبناء يسوع ينبغي أن يكونوا أقوياء، والشاهد على قوتهم هو الصليب، فليس الصليب مجرَّد لون من التأمل الروحي الجميل، ولكنه أيضًا احتمالٌ للألم من أجل الوقوف ضد العالم. ولم يكن الصليب في حياة الرب نتيجة لأعماله، ولكنه كان جزءًا من خدمته عندما قال: «يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا» (مت ١٦: ٢١).

يسوع إلهي: علِّمني عندما أكون في شدَّة في هذا العالم، أن لا أحسَّ بأني مهزومٌ، ولكن منتصرًا بقوة صليبك.

٢ – والصليب في طبيعته أقوى درجات الحب وأعمقها:

حُبٌّ لصالبيه، حُبٌّ للخطاة. حُبٌّ للمنتهى، حُبٌّ للبذل بلا مقابل.
الصليب هزيمة للكراهية، فليس في الصليب ذرَّة واحدة منها.

٣ – والصليب في طبيعته أقوى درجات الغَلَبَة على الشيطان والموت والعالم.

ما أرهب هذا الموقف، عندما يضع الكاهن الصليب على إنسانٍ به روح نجس، ويخرج منه. ستجد الروح النجس يصرخ بشدَّة ويخرج خوفًا من الصليب.

(البقية صفحة ١٩)

بمناسبة
عيد الصليب

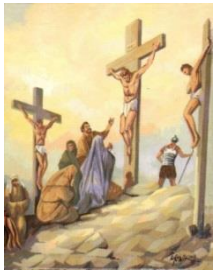

الصليب واللص اليمين

للقديس يوحنا ذهبي الفم[1]

❖ بعد أن تكلَّم ق. ذهبي الفم عن احتفالنا بالصليب الذي تمَّ عليه خلاصنا، وعن سبب تقديم ذبيحة الصليب خارج المدينة المقدَّسة، وأنَّ الصليب فَتَحَ لنا الفردوس بعد أن كان مُغلقًا، وأن المصلوب المحكوم عليه بالإعدام وُعِدَ بالفردوس، وألَّا نخجل من اتِّخاذ اللص اليمين مُعلِّمًا لنا؛ واصل ق. ذهبي الفم كلامه قائلًا:

ثم أَسْكَتَ اللص اليمين اللص الآخر بقوله: «أَوَلَا أَنْتَ تَخَافَ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ» (لو ٢٣: ٤٠)؟ أوَ لستَ أنت أيضًا على الصليب؟ فعندما تُوبِّخ الرب تدين نفسك بدلًا منه. وهذا تمامًا كما أن ذاك الساقط في خطيئة ويدين إنسانًا آخر يدين نفسه وليس الآخر؛ هكذا أيضًا فإن ذاك الذي في محنة ويُوبِّخ الآخر في محنته، فهو يُوبِّخ نفسه وليس غيره. لقد رجع اللص اليمين إلى وصية الرب: «لَا تَدِينُوا لِكَيْ لَا تُدَانُوا» (مت ٧: ١). ماذا تفعل أيها اللص؟ فبينما أنت تحاول أن تُدافع عن الرب، جعلته زميلًا في اللصوصية؟ فيقول: "كلَّا، إنني سوف أُصحِّح هذا المفهوم بما يأتي: لأنه حتى لا تظنُّوا أنه بقولي إننا تحت العقوبة ذاتها مثل المسيح، جعلتُ المسيح مُشاركًا لنا في خطايانا، فقد أضفتُ مُصحِّحًا قولي: «أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا» (لو ٢٣: ٤١)".

أَتَرَوْنَ اعترافه الكامل؟ أَتَرَوْنَ كيف أنه على الصليب جرَّد ذاته من خطاياه؟ لأنه مكتوبٌ: «اعترف أولًا بتعدِّياتك لكيما تتبرَّر» (إش ٤٣: ٢٦ سبعينية). لم يُجبره أحدٌ، لم يُقيِّده أو يُكرهه أحدٌ، ولكنه فضح نفسه قائلًا: «لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ» (لو ٢٣: ٤١)، ثم قال: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لو ٢٣: ٤٢). إنه لم يستطع أن يقول ذلك إلَّا بعد أن ألقى عنه ثقل خطاياه.

---

(1) Patrologia Graeca, Vol. 49. The Orthodox Word, 282, 2012.
ألقى ق. ذهبي الفم هذه العظة يوم الجمعة العظيمة في إحدى سنوات القرن الرابع غير المعروفة.

أَتَرَوْنَ كم أن الاعتراف بالخطيئة ثمين؟ لقد اعترف وفتح الفردوس. وبعد أن اعترف صار واثقًا أنه بمجرد أن نَبَذَ حياة اللصوصية طلب الملكوت. أَتَرَوْنَ كم من الخير يجلبه الصليب لنا؟ هل يُذكِّركم ذلك بالملكوت؟ أخبروني، ما هو الذي ترون أنه يُذكِّركم؟ إننا نرى المسامير والصليب. ولكن يُقال إن الصليب ذاته رمزٌ للملوكية. ولهذا السبب أُسمِّي المسيح مَلِكًا منذ أن رأيته مصلوبًا. لأنه من اللائق أن يموت الملك من أجل رعيته. لقد قال هو (المسيح) نفسه: «الرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ» (يو ١٠: ١١). وهكذا، فإن الملك الصالح أيضًا يضع حياته من أجل شعبه. وطالما أنه وضع حياته فإنني أُسمِّيه مَلِكًا: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ».

الصليب رمز للملكوت:

أَتَرَوْنَ كيف أن الصليب هو أيضًا رمزٌ للملكوت؟ أتريدون أن تفهموا الصليب من ناحية أخرى أيضًا؟ إنَّ المسيح لم يترك الصليب على الأرض، بل أخذه وأصعده إلى السماء. مِمَّ يتضح ذلك؟ من حقيقة أنه سوف يأتي به في مجيئه الثاني المجيد، لكي تُدركوا كم أنَّ الصليب شيءٌ مقدَّس حيث سمَّاه هو أيضًا "مجدًا". ولكن هلُمَّ نرى كيف أنه سوف يجيء بالصليب، لأنه من الضروري أن نُظهِر الدليل، فقد قال المسيح: «فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ فَلَا تَخْرُجُوا! هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ فَلَا تُصَدِّقُوا!» (مت ٢٤: ٢٦). لقد قال ذلك بخصوص مجيئه الثاني المملوء مجدًا، وذلك بسبب المسحاء الكَذَبَة والأنبياء الكَذَبَة، بسبب الضدِّ للمسيح، وذلك حتى لا يُضلَّل أحدٌ ويُخدَع. فحيث إنَّ الضدَّ للمسيح يأتي قبل المسيح، وحتى إنه عندما يبحث أحدٌ عن الراعي لا يقع فريسة للذئب؛ لهذا السبب ها أنا أُخبركم بعلامة مجيء الراعي.

وحيث إنَّ مجيئه الأول كان مخفيًّا، فحتى لا تظنُّوا أن مجيئه الثاني سيكون أيضًا هكذا، فقد أعطى هذه العلامة. من المناسب أن يكون مجيئه الأول مخفيًّا، لأنه جاء ليطلب مَنْ كان مفقودًا. أما مجيئه الثاني فلن يكون مثل الأول. ولكن أخبروني كيف سوف يكون؟ «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ» (مت ٢٤: ٢٧). إنه سوف يظهر لكلِّ أحدٍ في وقتٍ واحدٍ، ولن يحتاج أحدٌ أن يسأل إن كان المسيح هنا أم هناك! تمامًا كما أن ضوء البرق عندما يظهر لا نحتاج أن نمعن النظر لنرى إن كان ذلك قد حدث أم لا؛ هكذا عندما يتمُّ مجيء المسيح، لن نحتاج أن

نفحص إن كان قد جاء أم لا؛ ولكن السؤال هو: إن كان سيأتي ومعه الصليب! فدعونا ألَّا ننسى ما وعدنا به الرب قائلًا إنه عندما يأتي: «وَلِلْوَقْتِ ... تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ»، وحينئذٍ سيوجد فيضٌ من الضوء حتى إن أكثر النجوم سطوعًا سوف تختفي عن الأنظار: «وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ ... وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ **عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ**» (مت ٢٤: ٢٩، ٣٠). أَتَرَوْنَ كم أن عَلَمَ (أو راية) الصليب عظيمة؟ الشمس سوف تُظْلِم والقمر لن يكون مرئيًّا، أمَّا الصليب فسوف يظهر ويشعُّ حتى تدركوا أنه أكثر سطوعًا من الشمس والقمر.

وكما أنَّ الملك عندما يدخل مدينةً يتقدَّمه الجنود حاملين أعلامه على أكتافهم مُعلنين مُسْبقًا عن مجيئه؛ هكذا أيضًا عندما ينزل الربُّ من السماء تتقدَّمه جيوش الملائكة ورؤساء الملائكة حاملين علامة الصليب على أكتافهم حاملين لنا أنباء مجيئه الملكي. كما أنه قال بخصوص الملائكة: «وَقُوَّاتُ السَّمَوَاتِ تَتَزَعْزَعُ» (مت ٢٤: ٢٩). وحينئذ يحلُّ بهم رعبٌ وخوفٌ عظيمين. ولكن لماذا؟ لأن الدينونة سوف تكون مخيفة، لأن جنسنا البشري كله سوف يُؤتَى به أمام القاضي المخوف ويُحاكَم. ولكن لماذا سوف تخاف الملائكة وترتعد؟ إنهم لن يُحاكَموا. ذلك كما أنه عندما يجلس الحاكم في القضاء، فإنه ليس القضاة وحدهم الذين هم مسئولون قانونيًّا أن يُقدِّموا حسابًا عن خدمتهم، ولكن أيضًا القضاة الآخرون غير المتورطين يخافون ويرتعدون من القاضي الأعظم؛ هكذا أيضًا عندما يُحاكَم جنسنا حينئذٍ، فإنَّ الملائكة الذين هم غير متورطين سيكونون خائفين بسبب شدَّة مخافة القاضي الأعظم!

ولكن لماذا سوف يظهر الصليب حينئذٍ؟ لماذا سيأتي الربُّ ومعه الصليب؟ إن رمز وقاحة الذين صلبوه، هذا سوف يظهر حتى يُدركوا أنه بعنادهم كان ينقصهم الفهم، ولكي تعلموا إن كان هو سيأتي بالصليب، لهذا السبب استمعوا للنبوَّة القائلة: «وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (مت ٢٤: ٣٠؛ رؤ ١: ٧). إذ يُبصرون الذي اتهموه ويتعرَّفون على خطيئتهم. ولماذا تتعجَّبون لمجيئه آتيًا بالصليب طالما أنه سوف يُظهِر جروحه؟ لأن النبي يقول: «فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ» (زك ١٢: ١٠). وكما فعل (الرب) مع توما، بعد قيامته، عندما أراد أن يُقوِّم شكَّ تلميذه، فقد أظهر له أماكن المسامير وجروحه قائلًا: «هَاتِ إِصْبِعَكَ ... وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي» (يو ٢٠: ٢٧)، «فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ

لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ» (لو ٢٤: ٣٩)؛ فبنفس الطريقة سوف يُظهِر جروحه وصليبه في ذلك الوقت لكي يُثبت أنه هو الذي صُلِبَ!

أَظهر حبَّه بكلماته على الصليب:

إلَّا أنه ليس بواسطة الصليب وحده، بل أيضًا بواسطة كلمات الرب على الصليب أَظهر حبَّه للبشرية الذي لا يُنطق به. لقد سُمِّر على الصليب واستهزأوا به وبصقوا عليه، ومع ذلك قال: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو ٢٣: ٣٤). فقد صلَّى من أجل الذين صلبوه رغم قولهم له: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ! ... فَنُؤْمِنَ بك» (مت ٢٧: ٤٠، ٤٢). ولكن لأنه بالذات هو ابن الله لم ينزل عن الصليب حيث إنه جاء لكي يُصلَب من أجلنا!

ولكن قولهم: «انْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ... فَنُؤْمِنَ بك»، لم يكن سوى كلام وحجَّة لعدم إيمانهم. لأن كونه يقوم من القبر الذي خُتم بحجرٍ لَهو أمرٌ أعظم بكثير من نزوله عن الصليب. وإنه لَأمرٌ أعظم بكثير أن يُقيم من القبر لعازر بعد أربعة أيام وهو مقيَّدٌ بأكفانه من نزوله عن الصليب. كما أنهم قالوا: «خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ» (مت ٢٧: ٤٠)، ولكنه عمل كل شيء لكي يُخلِّص أولئك الذين كانوا يُعيِّرونه: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ». وما الذي حدث؟ هل غفر لهم هذه الخطيئة؟ لو كانوا راغبين في التوبة لكان قد غفر لهم. ولو لم يغفر لهم هذه الخطيئة لَما صار بولس رسولًا. لو كان لم يغفر لهم لَما جاء إلى الإيمان في الحال آلاف (بواسطة عظة بطرس الرسول) ثم عشرات الألوف. فبخصوص آلاف اليهود الذين آمنوا، اسمع قول الرسل لبولس الرسول: «أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ كَمْ يُوجَدُ رَبْوَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا» (أع ٢١: ٢٠).

إذن، فلنتشبَّه بمعلِّمنا ولنُصَلِّ من أجل أعدائنا، فبينما كان (الرب) مصلوبًا تكلَّم مع أبيه من أجل صالبيه. وربما يقول أحدٌ: "كيف يمكنني أن أتشبَّه بالسيِّد"؟ يمكنك ذلك لو أردتَ. ولو لم يكن ممكنًا أن نتشبَّه به، فلماذا قال: «تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ» (مت ١١: ٢٩)؟ ولِمَا قال بولس الرسول: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ» (١كو ١١: ١). وإن لم تريدوا أن تتشبَّهوا بسيِّدكم، فتشبَّهوا بزميلكم خادم الرب اسطفانوس الذي تشبَّه بالسيِّد. لأنه كما أنَّ المسيح في وسط صالبيه تغاضى عن آلامه وعن منفعته الشخصية وتوسَّل لأبيه من أجل صالبيه؛ هكذا أيضًا العبد في وسط

الذين كانوا يرجمونه لم يأبه بآلامه وقال: «يَا رَبُّ، لَا تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ» (أع ٧: ٦٠). أَتَرَوْنَ كيف نطق ابن الله وكيف نطق العبد؟ وهو لم يُصلِّ بشغفٍ بينما كان يُرجَم (استفانوس) حتى الموت فحسب؛ بل إنه «جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ» (الآية السابقة) وبشفقة عظيمة.

وهناك خادمٌ آخر أيضًا تألَّم أكثر من ذلك هو الرسول بولس الذي قال: «مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلَّا وَاحِدَةً. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ، مَرَّةً رُجِمْتُ ... لَيْلًا وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ» (٢كو ١١: ٢٤، ٢٥). ومع ذلك فقد قال: «كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ» (رو ٩: ٣). أتريدون أن تروا شخصًا آخر من العهد القديم مِمَّنْ يُتعجَّب لهم؟ إنه بلغ إلى الفضيلة الرسولية مع إنه لم يتلقَّ وصية محبة الأعداء بل وصية عين بعينٍ وسِنّ بسنٍّ، وأن يُقابل الشرَّ بالشرِّ (خر٢١: ٢٤، ٢٥). استمع لِمَا قاله موسى النبي الذي اضطهده اليهود: «وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ، وَإِلَّا فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ» (خر ٣٢: ٣٢). أَتَرَوْنَ أنَّ كل واحد جعل خلاص الآخرين قبل خلاصه؟ إنك لم تُخطئ، فلماذا تريد أن تُشاركهم في العقاب؟ إنه يقول: "لأنني لا أشعر بالسعادة قط عندما يتألم الآخرون"!

وفي العهد القديم أيضًا، عندما قام الجيش كله ضد داود النبي المُبارك الوديع وسلَّحوا ابنه أبشالوم ومنحوه سُلطةً فائقةً، أرادوا أن يقتلوا داود، فغضب الله وأرسل ملاكًا بسيفه المسلول وسمح بضربةٍ من فوق. ولما رأى داود الناس مقتولين قال: «هَا أَنَا (الراعي) أَخْطَأْتُ وَأَنَا أَذْنَبْتُ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا فَعَلُوا؟ فَلْتَكُنْ يَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي» (٢صم ٢٤: ١٧). أَتَرَوْنَ مرةً أخرى نفس أنواع التصرُّفات الفاضلة؟ كما أنَّ صموئيل النبي، أساء اليهود معاملته وجرَّدوه من وظيفته وأهانوه لدرجة أن الله أراد أن يُعزِّيه، فقال له: «لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا » (١صم ٨: ٧). أما عن ذاك الذي رفضوه وأساءوا معاملته فقد قال: «أَمَّا أَنَا فَحَاشَا لِي أَنْ أُخْطِئَ إِلَى الرَّبِّ فَأَكُفَّ عَنِ الصَّلاَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ» (١صم ١٢: ٢٣). هكذا اعتبر أن عدم الصلاة من أجل أعدائه خطيئة!

أخبروني، إذن، أيُّ نوعٍ من المغفرة نريد أن نحصل عليه؟ الرب وخدَّامه في العهدَيْن جميعهم يدفعوننا إلى أن نُصلِّي من أجل أعدائنا، في حين أننا نفعل العكس ونُصلِّي ضدَّهم! وبقدر كثرة عدد الأمثلة التي أمامنا بقدر ما تكون العقوبة إن لم نقتدِ بتلك الأمثلة. صلاتنا

من أجل أعدائنا إنما هي أمرٌ أعظم من الصلاة من أجل أحبَّائنا، كما أنه ليس من النافع لنا أن نُصلِّي من أجل أحبَّائنا مثلما نُصلِّي من أجل أعدائنا. والرب يقول: «لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟» (مت ٥: ٤٦)؟ فإذا صلَّينا من أجل أحبائنا فلا نكون بعد قد صرنا أفضل من الوثنيين والعشَّارين. أما إذا أحببنا أعداءنا فنصير مثل الله. فدعونا، إذن، نصير مثل الآب لأن الرب قال: «لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ» (مت ٥: ٤٥)، وذلك لكي نكون مستحقِّين لملكوت السموات بنعمة الرب ومحبة البشر التي لمخلِّصنا يسوع المسيح الذي له المجد، آمين. **(يُتبع)**

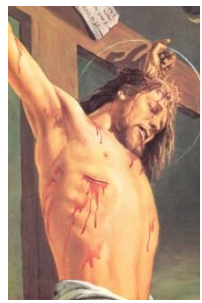

****

بقية مقال: (عثرة الصليب) المنشور صفحة ١٣

ما أرهبك أيها الصليب! الموت سببه الخطية، والرب يسوع دان الخطيئة بالجسد.

عندما أرادت الملكة هيلانة أن تتحقَّق من صليب ربنا، وضعت جسد ميت على الصليب الأول والصليب الثاني فلم يحدث شيء؛ ولكن بمجرد أن لمس النَّعش الصليب الثالث قام الميت في الحال، عندئذ تحقَّقت الملكة أنه صليب الرب.

ربي يسوع، اكشف عن عينيَّ لأكتشف قوة صليبك في حياتي، وأنقذ عقلي من طياشة الأعمال الهيولية إلى تذكار أحكامك السمائية.

أَعطِني أن لا أشتكي من أتعاب خدمتك، بل اجعل نفسي قيروانيًّا آتيًا من الحقل. أَعطِني، يا رب، أن أحيا لا أنا بل أنتَ الذي تحيا فيَّ، ويكون لي نصيبٌ مع الغالبين بقوة الصليب أمام البحر الزجاجي.

بشفاعة العذراء مريم التي ذاقت شركة آلام الرب على الصليب، آمين.

مقال مترجم

صَلْب يسوع

للدكتور ترومان ديفيز[١]

C. Truman Davis, M.D., M.S.

❖✚❖

في هذه المقالة سأُناقش بعض الأوجه الجسدية لآلام أو مُعاناة يسوع المسيح. وسنتبعه من جثسيماني، ثم محاكمته وجَلْده، ثم مسيرته على درب الآلام، إلى ساعات موته الأخيرة على الصليب.

لقد شغفتُ بهذا الأمر منذ سنة مضت في كتاب جيم بيشوب "يوم ممات يسوع". أحسستُ فجأة أنني كنتُ قد تقبَّلتُ الصَّلْب كأمر مُسلَّم به طوال هذه السنين – لدرجة أنني فقدتُ الإحساس برُعبته، تقبَّلته بالمشاعر المتبلِّدة من فرط الاعتياد بتفاصيله القاسية – وبقليل من التآلف بيسوع. وأخيرًا، أدركتُ أنني كطبيب لم أكن أعلم حتى السبب المباشر "للوفاة". كاتبو الأناجيل لا يساعدوننا كثيرًا من جهة هذا الأمر، لأن عمليتَي الصَّلْب والجَلْد كانتا شائعتين في عصرهم، حتى إنهم بلا شكٍّ اعتبروا وصفها تفصيليًّا أمرًا لا حاجة له بالمرة. لذلك نجد الكلمات الموجزة للإنجيليين: "وبعد أن جلد بيلاطس يسوع أسلمه ليُصلَب ... وصلبوه".

إنني مديون لكثيرين مِمَّنْ درسوا هذا الموضوع في الماضي، وبالأخص الزميل المعاصر الدكتور بيير بناربيه، الجرَّاح الفرنسي الذي قام ببحث تاريخي شامل. وقد كتب باستفاضة حول هذا الموضوع.

أنا لا أعتبر نفسي كفؤًا لمناقشة الآلام النفسية والروحية للإله المتجسِّد كفَّارةً لخطايا الإنسان الساقط، ولكننا نستطيع أن ندرس بشيء من التفصيل الأوجه الفسيولوجية والتشريحية لآلام ربنا ... ماذا احتمل بالفعل جسد يسوع الناصري خلال ساعات تعذيبه؟

وقد قادني هذا لدراسة مُمارسة عملية الصَّلْب ذاتها، أي تعذيب وإعدام إنسان

(١) سبق أن تمَّ نشر هذه المقالة في مجلة مرقس، عدد مارس سنة ١٩٨٠م.

بتعليقه على صليب. وعلى ما يبدو فإن أول مُمارسة لعملية الصَّلْب تمَّت عند الفُرس. وقد نقلها الإسكندر وقوَّاده إلى حوض البحر المتوسط ومصر وقرطاجنة. ومن الواضح أن الرومان أخذوا هذا الفعل من أهل قرطاجنة (وطبقًا لِمَا فعله الرومان بكل شيء تقريبًا)، فإنهم قد أحرزوا بسرعة درجة عالية من الكفاءة والمهارة في تنفيذها. وقد وصف هذا عدد من المؤلّفين الرومان مثل: ليفي وشيشرون وتاسيتُس. وقد وُصِفَت في الأدب القديم عدَّة تجديدات وتطويرات لهذه العملية سوف أذكر القليل منها مِمَّا يهمنا.

شكل الصليب:

فالخشبة القائمة للصليب يمكن أن تحمل الخشبة المُستعرضة على مسافة قدمين أو ثلاثة أقدام أسفل قمَّتها. وهذا هو ما يشيع في اعتقادنا اليوم عن الشكل التقليدي للصليب (الذي قد تسمَّى فيما بعد بالصليب اللاتيني). ولكن الشكل المُعتاد في أيام ربنا كان صليبًا على شكل حرف **T** ، الذي فيه كانت تُوضع الخشبة المُستعرضة في تجويف بالطرف العلوي للخشبة القائمة.

وتوجد دلالة أثرية قوية إلى أنه على مثل هذا النوع من الصليب قد صُلِب يسوع[٢].

وعمومًا كانت تُثبَّت الخشبة القائمة في الأرض في موضع الإعدام، وكان المحكوم عليه يُلزَم بحمل الخشبة المُستعرضة، التي كانت تزن حوالي ١١٠ أرطال، من موقع السجن إلى مكان الإعدام.

وبدون أيَّة إثباتات تاريخية أو إنجيلية، كان رسَّامو القرون الوسطى وعصر النهضة ومعظم النحَّاتين الذين يُصوِّرون منظر الصليب اليوم، يُظهِرون المسامير في راحة اليد. ولكن دلَّت تقارير الرومان التاريخية والأبحاث الدراسية أن المسامير قد اخترقت فيما بين العظام الصغيرة للمعصمَيْن – الرسغ – وليس خلال راحة اليد. لأن المسامير التي تُدقُّ خلال راحة اليد لابد أن تُمزِّق الأنسجة بين الأصابع عندما تحمل ثقل جسم الإنسان. وقد يكون اللَّبس في ذلك ناتجًا عن سوء فهم كلمات يسوع لتوما: «أَبْصِرْ يَدَيَّ»، ولكن علماء التشريح المُعاصرين والقُدماء دائمًا يعتبرون المعصم جزءًا من اليد.

---

(٢) معروف عند الأقباط أن هذا فعلًا كان شكل الصليب، وقد صنع الرهبان عكاكيزهم على هذا النمط، وهو يُسمَّى حتى اليوم باسم عصا أنطونيوس.

وكان يُحمَل في مُقدِّمة موكب الصَّلْب لافتة صغيرة توضِّح جريمة المحكوم عليه، وأخيرًا، تُسمَّر في الصليب فوق الرأس. وهذه اللافتة – بالعصا التي تحملها – بعد أن تُسمَّر في أعلى الصليب، ربما كانت تُعطي الشكل المُميَّز للصليب اللاتيني.

صار عرقه كقطرات دم:

وتبدأ آلام الرب في بستان جثسيماني. ومن بين الأوجه المُتعدِّدة لهذه الآلام المبدئية سوف أُناقش إحداها ذات الأهمية الفسيولوجية وهي: "العَرَق المُدَمَّم". ومن الطريف أن طبيب الجماعة، القديس لوقا، هو الوحيد الذي ذكرها، إذ يقول «وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ» (لو ٢٢: ٤٤).

وقد عُمِلَت كل محاولة يمكن تصوُّرها بواسطة العلماء المعاصرين لاستبعاد هذه الظاهرة بناءً على اعتقادٍ خاطئ بأن ذلك لا يمكن حدوثه. ولكن يمكن توفير هذا الجهد الكبير بالرجوع إلى المراجع الطبيَّة، لأنه رغم أن ظاهرة العَرَق المُدَمَّم هذه المُسمَّاة Hematidrosis = bloody sweat نادرة الحدوث، إلَّا أنه قد تسجَّل حدوثها. إذ إنه تحت تأثير ضغط انفعالي شديد، قد تنفجر الشعيرات الدموية الدقيقة للغُدد العَرَقيَّة، وبالتالي يمتزج العَرَق بالدم. وهذ العملية وحدها تُسبِّب إعياءً شديدًا، وربما تؤدِّي إلى حدوث صدمة (shock - أي هبوط شديد بضغط الدم).

وسنَعْبُر سريعًا على الخيانة والقبض، ويجب أن أؤكِّد مرةً أُخرى أن أجزاء هامة من قصة الآلام لم تُسجَّل في هذه الرواية، وقد يكون ذلك مُثبطًا لنا، ولكن من أجل أن نلتزم بهدف بحثنا فإن الشيء المهم هو الجانب الجسدي الخالص للألم وحده. فبعد القبض في منتصف الليل، أُحضِرَ يسوع أمام السنهدريم وقيافا رئيس الكهنة، وهنا اقتُرِفَت أولى الإصابات الجسدية، حيث لطم أحد الجنود يسوع عند استجوابه بواسطة قيافا، ثم غطَّى حُرَّاس القصر وجهه ساخرين منه باستهزاء ليتنبَّأ بشخصية كلٍّ منهم عند عبورهم عليه. وبصقوا عليه، ولطموه على وجهه.

المحاكمة والجَلْد:

وفي الصباح الباكر أُخِذَ يسوع، وهو مضروبٌ ومُصابٌ بكدماتٍ وفي حالة جفاف وهو مُنهَك القُوى، بعد ليلٍ قد خلا من النوم، عَبْر أورشليم إلى دار الولاية بقلعة أنطونيا مقر

حكومة الوالي الروماني على اليهودية – بيلاطس البنطي – ونحن بلا شكٍّ على دراية بما فعله بيلاطس محاولة منه للتملُّص من المسئولية ونقلها إلى هيرودس أنتيباس رئيس الربع على اليهودية. ويبدو أن يسوع لم يَلْقَ سوء معاملة جسديًّا على يدَي هيرودس الذي أعاده إلى بيلاطس.

وهنا أَمَر بيلاطس، استجابة لصرخات الرعاع، بإطلاق سراح باراباس وأسلم يسوع للجلد والصَّلب. وأغلب الكُتَّاب الرومان في هذه الحقبة لا يربطون بين الاثنين. فمعظم العلماء يعتقدون أن بيلاطس أَمَرَ أصلًا بجلده كعقوبة كاملة، أمَّا حُكْم الموت بالصَّلْب فقد أتى فقط استجابة لهُزء الرعاع، بأن الوالي ليس مواليًا لقيصر ضد هذا المُدَّعي الذي أعلن أنه ملك اليهود.

وكان الإعداد للجلد يجري، والمحكوم عليه تُنزع عنه ملابسه وتُربَط يداه إلى عمود فوق رأسه. ومن المشكوك فيه أن الرومان قد قاموا بأيَّة محاولة لاتِّباع القانون اليهودي في أَمْر الجلد. فقد كان لليهود قانون قديم يمنع الجلد بأكثر من أربعين جلدة. ولكي يطمئن الفرِّيسيون إلى أن القانون يُنفَّذ بدقَّة كانوا يُصرون على أن يتمَّ الجلد بتسع وثلاثين جلدة فقط (حتى إذا حدث سهو في العدِّ يظلون داخل حيز القانون). وهنا يتقدَّم أحد جنود الكتيبة الرومانية والسَّوط في يده. وهو مكوَّن من عدَّة سيور جلدية، ينتهي طرف كل منها بكُرَتين من الرصاص. وهذا السوط الثقيل كان ينزل بكل القوة، المرَّة تلو الأخرى، على كتفَي يسوع وظهره ورجليه. في البداية تنفذ السيور خلال الجلد فقط فتُمزِّقه ثم مع توالي الضربات يزداد عمق هذه التمزيقات ليصل إلى الأنسجة تحت الجلد مُحدثًا أولًا نزيفًا دمويًّا من الشعيرات والأوردة الجلدية، وأخيرًا دمًا شريانيًّا نافرًا من الأوعية الموجودة بالعضلات التي تحته. وتبدأ بعد ذلك كُرات الرصاص الصغيرة تُحْدِث كدماتٍ غائرة ثم تتمزَّق هذه الكدمات بالضربات اللاحقة. وفي النهاية يصير جلد الظهر كله مُتهرِّءًا بتمزيقات طويلة تصبح بعدها المنطقة عبارة عن كتلة من الأنسجة النازفة الوارمة وقد فقدت كل معالمها.

وعندما تحقَّق قائد المئة المسئول بأن المحكوم عليه قارب الوفاة، أوقف أخيرًا الضرب.

إكليل الشوك:

عندما سُمِحَ ليسوع، بعد حل وثاقه، وهو في شبه إغماءة، بأن يسقط على الأرض، على

البلاط الحجري، وهو مُبلَّل بدمائه، وقد رأى جنود الرومان سخرية كبيرة في منظر هذا اليهودي الريفي الذي يدَّعي أنه ملك؛ فألقوا فوق كتفيه رداءً ملوكيًّا ووضعوا في يده قصبة كصولجان، وبحثوا عمَّا يصلح أن يكون تاجًا له ليُكمِّلوا مسرحيتهم الهَزْلية، فضفروا حزمة صغيرة من فروع مرنة من الأشواك الطويلة (تُستعمل عادةً للحريق) – على شكل تاج – غُرست بعنف في جلد رأسه. وهنا حدث مرةً أخرى نزيف وفير (ومعروف أن جلد الرأس – فروة الرأس – هو أحد أجزاء الجسم المزدحمة بالأوعية الدموية). وبعد الهُزء به ولطمه على الوجه، أخذ العسكر القصبة وضربوه بها على رأسه لتنغرس الأشواك أكثر عمقًا في جلد رأسه. وأخيرًا بعد أن تعبوا من تسليتهم السادِيَّة هذه، نزعوا عن ظهره الرداء الذي قد صار ملتصقًا بتجلُّطات الدم والمصل فوق الجروح، فأحدث نزعه ألمًا مُبرِّحًا – كما يحدث عند نزع ضماد جراحي دون اكتراث – وكأنه يُجلَد من جديد، والجروح تبدأ تنزف من جديد.

حَمْل الصليب:

ونزولًا عند عادة اليهود، يُعيد الرومان إليه رداءه وتُربَط الخشبة المُستعرضة من الصليب على كتفيه، ويبدأ موكب المسيح المحكوم عليه واللِّصَّيْن والجنود الرومان المُكلَّفين بتنفيذ حُكْم الإعدام، يرأسهم قائد المئة، رحلتهم البطيئة عَبْر طريق الآلام. وبالرغم من جهد يسوع لكي يسير منتصبًا، فإن وزن الخشبة المُستعرضة الثقيل مع حالة الصدمة الناتجة عن فقدان كثير من الدم كان أكثر مِمَّا يُحتَمل. لذلك تعثَّر وسقط! وكان السطح الخشن للخشبة الثقيلة ينحَر في الجلد والعضلات المُهترئة للكتفين. ومهما حاول المسيح القيام، إلَّا أن القدرة الإنسانية كانت قد تعدَّت حدود احتمالها!! فحرصًا على إتمام الصَّلب، اختار قائد المئة رجلًا قوي البنية من شمال إفريقيا: سمعان القيراوني، أحد المُشاهدين للموكب ليحمل الخشبة. وتبعهم يسوع وهو ما زال ينزف ويتصبَّب عرقه البارد الرطب المُميِّز لحالة الصدمة. وفي النهاية تمَّت الـ ٦٥٠ ياردة من قلعة أنطونيا إلى الجلجثة. ومرة أُخرى تُنزَع عن المُدان ثيابه ما عدا ما يغطِّي حقويه كعادة اليهود.

الصَّلْب:

ثم يبدأ الصَّلْب. وقُدِّم ليسوع خمرٌ ممزوج بمُرٍّ كمزيج مُسكِّن خفيف للألم، فلم يقبل أن يشرب. ثم أُمِرَ سمعان أن يضع الخشبة المُستعرضة على الأرض، وأُلقي يسوع بسرعة

على ظهره وكتفيه مقابل الخشبة. ويتحسَّس أحد الجنود الموضع المنخفض للمعصم من جهته الأمامية ويدفع فيه مسمارًا ثقيلًا مربعًا من الحديد المصنوع يدويًّا (حدادي) لينفذ خلال المعصم إلى عمق الخشبة. وبسرعة يتحرَّك إلى الجانب الآخر ويكرر نفس العملية، محترسًا ألَّا يجعل الذراعين مشدودين تمامًا بل يسمح ببعض الثني والحركة.

بعد ذلك رُفِعَت الخشبة (وعليها يسوع) وثُبِّتت في مكانها فوق الخشبة القائمة (المثبَّتة أصلًا في الأرض)، ثم سُمِّرت في أعلاها اللافتة المكتوب عليها: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ».

ثم دُفِعَت القدم اليُسرى للخلف تحت القدم اليُمنى وهما مشدودتان والأصابع إلى أسفل، ودُق مسمار خلال التقوُّس العظمي للقدمين تاركًا الركبتين في ثني خفيف. والآن تمَّ صَلْب الضحية. وتدريجيًّا يهبط الجسم، تحت تأثير ثقله، فيزداد الشدُّ عند مسامير المعصمين، فتنتج آلامٌ مُبرِّحة نارية تنتقل بشدة في الأصابع ثم أعلى الذراعين لتطرق طرقات مُفزعة في المخ، والمسامير المغروسة في المعصمين تضغط على العَصَب الأوسط، وإذ يحاول يسوع أن يرفع نفسه إلى أعلى ليتفادى هذا التعذيب الناتج من هذا الشدِّ، يضع كل ثقله على المسمار المُثبَّت في القدمين. فتنتج مرة أخرى آلام كاوية نتيجة لتمزيق المسمار للأعصاب بين مشطيات (عظام) القدمين.

وفي هذه المرحلة تحدث ظاهرة أُخرى، إذ يحدث أنه بسبب إجهاد الذراعين تنتاب العضلات موجات عنيفة مكتسحة من التقلُّصات، تنفذ إلى الأعماق وتكون ذات آلامٍ عميقة غامرة تتزايد مع كل نبضة للقلب. ومع هذه التقلُّصات يفقد المصلوب القدرة على رفع الجسم إلى أعلى.

ونتيجة للتعليق من الذراعين يحدث شلل للعضلات الصدرية، فتتوقَّف العضلات بين الأضلاع عن العمل. ونتيجة لهذا يدخل الهواء إلى الرئتين (شهيق)، ولكن لا يمكن إخراجه (زفير). فيُجاهد يسوع رافعًا نفسه ليحصل ولو على مجرد تنفُّسٍ قصير، فيعجز أولًا، ولكن بعد مدةٍ يرتفع تركيز ثاني أكسيد الكربون في الرئتين وفي مجرى الدم، وبناءً عليه يقل عنف التقلُّصات جزئيًّا. وبحركةٍ تقلُّصية يصبح قادرًا مرةً أخرى على دفع نفسه إلى أعلى ليزفر ويأخذ الأكسجين اللازم للحياة.

كلمات يسوع السبع:

ولا شكَّ أنه في تلك الفترات كان يسوع يقول كلماته القصيرة التي تسجَّلت، وهي:

الأولى: ناظرًا إلى أسفل، إلى الجنود الرومان وهم يلقون قرعة على ردائه غير المخيط فيقول: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ».

والثانية: للص التائب: «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ».

والثالثة: ناظرًا إلى يوحنا الشاب المُرتجف المُفعَم بالحزن (التلميذ المحبوب) ويقول: «هُوَ ذَا أُمُّكَ»، وناظرًا إلى مريم أُمّه: «يَا امْرَأَةُ، هُوَ ذَا ابْنُكِ».

والصرخة الرابعة: وهي الكلمات الأُولى للمزمور ٢٢: «إِلهِي إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟».

وتمرُّ ساعات وهو في هذا الألم غير المحدود، وحلقات متتابعة من التشنُّجات، مع تقلُّصات مُمزِّقة للمفاصل واختناق جزئي متقطِّع، مع ألمٍ مُبرِّح نتيجة لتمزُّق الأنسجة من ظهره المُتهرِّئ وهو يتحرَّك لأعلى ولأسفل على كتلة الخشب الخشنة. وهنا يبدأ صراعٌ جديد، إذ يحدث ألمٌ عميق ساحق داخل الصدر نتيجة لملء بطيء للتامور (الغشاء المُحيط بالقلب) بالمصل الذي يبدأ يضغط على القلب.

ولنذكُر مرَّةً أُخرى المزمور ٢٢ (الآية ١٤): «كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ. انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي».

ثم تقترب الحالة من النهاية – لأن فقدان السوائل من الأنسجة يكون قد وصل إلى المستوى الحرج – والقلب المضغوط يُجاهد ليدفع في الأنسجة – ليس دمًا عاديًّا بعد، بل دمًا مركَّزًا لزجًا بطيئًا – والرئتان المُعذَّبتان تُجاهدان، في تهيُّج شديد، لاهثة لتحصل على جرعاتٍ صغيرة من الهواء. والأنسجة التي أصبحت على درجةٍ شديدة من الجفاف تُرسِل سيلًا لا ينتهي من التنبيهات إلى المخ، وبلا استجابة.

ثم يلهث يسوع صارخًا صرخته **الخامسة**: «أَنَا عَطْشَانُ».

وهنا نذكُر آية أُخرى من المزمور ٢٢ النبوي آية (١٥): «يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ الْمَوْتِ تَضَعُنِي». وعندئذ رُفِعَت إليه إسفنجة غُمِسَت في

نوع من شرابٍ مُسْكِر، وهو الشراب الرخيص الرئيسي للجنود الرومان. ومن الواضح أنه لم يأخذ شيئًا منه.

أمَّا جسد يسوع الآن فقد قرب إلى النهاية، وبدأ يشعر برجفة الموت تزحف على أنسجته، وتأكُّده من هذا جعله يقول كلمته **السادسة**، وربما كانت أقوى بقليل من همسٍ متهدِّج: «قَدْ أُكْمِلَ».

موت يسوع:

وبموجة أخيرة من القوة يضغط مرةً أخرى قدميه المُمزقتين على المسمار، ويشدُّ ساقيه ليأخذ تنفُّسًا عميقًا، وينطق بصرخته **السابعة والأخيرة:** «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي».

وما يلي ذلك معروفٌ، فلكي لا يُدنِّس اليهود السبت طلبوا أن يُقتَل المُدانون ويُرفعوا من على الصلبان. والطريقة المُتَّبعة في إنهاء عملية الصَّلْب كان بكسر عظام الساقين. لأن هذا يمنع الضحية من محاولة الدفع إلى أعلى، وبالتالي لا يتمكَّن المصلوب من تخليص عضلات الصدر من الضغط الواقع عليها، وهكذا يحدث اختناقٌ سريع. لذلك كُسِرَت سيقان اللصَّين، ولكن عندما أتوا إلى يسوع وجدوا أن ذلك أصبح غير ضروري!!!

ويبدو أنه لكي يحصل المسئول على تأكيد مُضاعف للوفاة، طعن الجندي بحربته الجنب خلال المسافة بين الضلعين الرابع والخامس إلى أعلى لتنفذ خلال التامور إلى داخل القلب. وتقول الآية ٣٤ من الأصحاح ١٩ لإنجيل القديس يوحنا: «وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ». إذن، كان هناك خروج لسائل مائي من الغشاء المُحيط بالقلب (التامور)، وأيضًا دم من داخل القلب. وبذلك يكون لدينا دليلٌ حاسم لحدوث الوفاة، ويكون ربنا قد مات ليس بالاختناق وهو الموت العادي للصَّلْب، ولكن بسبب هبوط في القلب نتيجة للصدمة ولانضغاط القلب بسبب تجمُّع السائل في التامور.

هكذا نكون قد ألقينا نظرة إلى ما يمكن أن يُقدِّمه الإنسان من شرٍّ تجاه الإنسان وتجاه الله، وإن كان هذا ليس بالمنظر المقبول على الإطلاق، بل وهو كفيلٌ أن يتركنا في كآبةٍ كثيرة ويأس. ولكن حينما ننظر إلى ما يتضمَّنه هذا من رحمة الله غير المحدودة للإنسان، نصبح أكثر من شاكرين، إذ فيه قد تمَّت معجزة الكفَّارة وانتظار لفجر القيامة.

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة[١]

(٢)

❖✚❖

(٥) الصُّورة: طابع صُمِّم للبلوغ إلى الشَّبه:

THE IMAGE: A PLEDGE DESIGNED FOR LIKENESS

مواهب ونِعَم القُدرة على التَّفكير المنطقي والمعقوليَّة rationality والرَّغبة desire والذَّاكرة، تساعدنا أنْ نكتشف صورتنا الأصليَّة في نموذجها الأوَّل Prototype الذي هو يسوع المسيح. العالِم الأرثوذكسي اللاهوتي المشهور بانايوتيس نيلاس Panayiotis Nellas وَصَف عملية معرفة الله برحلة مدى الحياة ننمو فيها من صورة image الله إلى شبهه likeness فقال:

> **"هذا يوضِّح الحقيقة أنَّ عبارة "على الصُّورة image" تتضمَّن هبة داخل الإنسان، ولكن في نفس الوقت هدف موضوع أمامه، مِلْكِيَّة لكن مصيرًا أيضًا، لأنَّها تُشكِّل حقًّا الوجود الإنساني لكن فقط في القصد. صورة الله فينا هي القوَّة الحقيقيَّة التي يجب أنْ تقودنا إلى زيجةٍ روحيَّة واتِّحادٍ حقيقي بالله، أي الشركة بين الله والإنسان. عندها فقط يصبح القصد الإلهي مِن الإنسان حقيقة واقعيَّة. يجد الإنسان في الأصل Archetype (المسيح) معناه الوجودي الحقيقي[٢]".**

يجد الإنسان ذاته الحقيقيَّة، في الأصل Archetype، في صورة الواحد الذي على شبهه خُلِق: يسوع؛ ولكنَّ لأنَّ علاقة الإنسان بالله تمزَّقت بسبب الخطيَّة، يلزم على الإنسان أولًا أنْ يأتي ليرى نفسه كخاطئ، ويُنقِّي نفسه مِن خلال التَّوبة، ويلتمس رحمة الله قبل أنْ يستطيع معرفة الله. الصُّورة image

---

(١) عن كتاب بعنوان:

Anthony M. *Coniaris, Knowing God Life's Highest Purpose & Joy.*

(2) Deification of Christ. Panaiotis Nellas. SVS Prss. Crestwood، NY. 1987.

التي شُوِّهت بالخطيَّة، يلزم أنْ يُعاد تشكيلها، وتجديدها، واستعادتها.

يصف الأب بول إيفدوكيموف Paul Evdokimov هذه العمليَّة كالآتي:

"يبدأ النَّاسك (الزَّاهد) برؤية لحالته الإنسانيَّة، لأنَّه "لا يمكن لأحد أنْ يعرف الله ما لم يعرف نفسه أولًا". "الشَّخص الذي يرى خطيَّته أعظم مِن الشَّخص الذي يُقيم الموتى". "الشَّخص الذي يرى حقيقة نفسه أعظم مِن الذي ينظر الملائكة". بهذا فإنَّ الحياة النُّسكيَّة تكشف لنا مقدار الخراب الذي سبَّبه الشَّر في النَّفس البشريَّة، وكأنَّ النُّسك يُقدِّم لنا بدلة غوص، حتى نستطيع أنْ نغوص في أعماقنا، ونكتشف كهوف الشَّر بداخلنا التي سكنتها الوحوش، (وفي الوقت الحالي يولي الأطباء النفسانيُّون psychiatrists **وعلماء النَّفس** psychologists **اهتمامًا كبيرًا للكتابات النُّسكيَّة)، وبعد هذه الرُّؤية الرَّهيبة لهاوية النَّفس الخاصَّة بها، تتطلَّع الرُّوح إلى الرَّحمة الإلهيَّة: "مِن هاوية إثمي، أتضرَّع إلى عُمق نعمتك"[٣]".**

إذًا، تبدأ معرفة الله بمعرفة الذَّات، معرفة خطايانا، وطلب مراحم الله: "اللهمَّ ارحمني أنا الخاطئ".

يُميِّز بعض آباء الكنيسة بين "الصورة image" و"الشَّبَه – المثال likeness"، فالصُّورة تُعطَى لنا كعطيَّة، بينما يُعتبر الشَّبَه والمثال هو القصد أو الهدف الذي يجب تحقيقه مِن خلال النُّمو في: "قياس قامة ملء المسيح". لقد أعطانا الله الصورة كبذرة يمكننا تغذيتها ومساعدتها على النُّمو إلى زهرةٍ يانعة تُشبه المسيح Christ - Likeness.

(٦) مواهب الصُّورة الإلّهيَّة المُعطاة لنا حتى تُساعدنا إلى الوصول إلى المعرفة الإلهيَّة:

صورة الله تتمثَّل في الواقع بأنَّنا قد وُهبنا:

العقل لنعرف الله؛

الاشتياق لنطلب الله؛

الذَّاكرة لنتَّجه نحو الله؛

الحريَّة لنختار الله؛

القلب لنحبَّ الله؛

(3) The Sacrament of Love. Paul Evdokimov. SVS Prss. Crestwood, NY. 1985.

اللّسان لنتكلَّم إليه في الصَّلاة، ونعترف به أمام العالم.

خلال هذه العمليَّة بأكملها مِن النُّموِّ مِن الصُّورة إلى الشَّبَه، فإنَّ صورة الله التي في داخلنا تشعر وكأنَّ شيئًا ما مثل قوَّة مغناطيسية تجذبها نحو شبيهها، الأصل Archetype، أو النَّموذج الأوَّل Prototype الذي هو الرَّب يسوع. توجد أيضًا قوَّة جاذبة إلى أسفل بداخلنا (التي هي الخطية، راجع: رو ٧: ١٩-٢٥)، ولكن يوجد جذبٌ تصاعدي أعظم وأكثر قوَّة بنعمة الله نحو الأصل Archetype، وبمعنى آخر: الكلمة the Logos، ابن الله. إنَّها قوَّة الجذب التي لنعمة الله إلى أعلى التي مكَّنت القدِّيس بولس أنْ يقول: **«أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي»** (في ٤: ١٣).

نحن مدعوُّون لتحقيق صورة الله فينا مِن خلال الرُّوح القدس. كيف؟ مِن خلال تفعيل العطايا المتأصِّلة في الصُّورة؛ وأوَّلها أنْ **تعرف** KNOW الله، وهذا يتبعه مواهب أخرى للصُّورة، أي الاشتياق لله، البحث عن الله، تذكُّر الله، اختيار الله، طاعة الله، طلب رحمة الله، الصَّلاة إلى الله، ومحبَّة الله.

(٧) ما فائدة الوجود إذا لم يستطع المرء أنْ يعرف الله؟

قال القدِّيس أثناسيوس St. Athanasius: لو أنَّنا لم نستطع أنْ نعرف الله، فلماذا نعيش؟ ومضى ليقول:

> **[ما فائدة وجود المخلوق إذا لم يكن قادرًا أن يعرف خالقه؟ كيف يمكن للناس أنْ يكونوا كائنات معقولة إذا لم يكن لديهم معرفة بالكلمة وإدراك** Reason **الآب اللذين مِن خلالهما نالوا وجودهم؟ لن يكونوا أفضل مِن البهائم إذا لم يكن لديهم معرفة إلاَّ بالأشياء الأرضيَّة؛ ولماذا كان على الله أنْ يخلقهم على الإطلاق، لو لم يكن يقصد أنْ يعرفوه؟ ولكن في الواقع، قد أعطاهم الإله الصالح أنْ يُشاركوه في صورته** image **... لماذا؟ ببساطة لكي يتمكَّنوا مِن خلال عطيَّة** gift **التشبُّه بالله في أنفسهم، أنْ يدركوا الصُّورة المُطلقة** Image Absolute**، أي الكلمة نفسه، ومِن خلاله يتمُّ إدراك الآب؛ تلك المعرفة لخالقهم التي تكون لنا منها الحياة الوحيدة السَّعيدة والمُباركة**[٤]**].**

قال القدِّيس أثناسيوس، نحن خُلقنا على صورة الله ذاته، ولذلك مِن خلال صورته فينا نستطيع أنْ نعرفه. فوجود الله هو احتياجٌ فطري داخل الإنسان، إنَّه جزء مِن صورته فينا. ولهذا السَّبب، فإنَّ كلَّ

(4) On the Incarnation. SVS Press Crestwood، NY.2002.

الشُّعوب – حتى منذ العصور المُبكِّرة – كانوا يعبدون ويُقدِّمون ذبائح لنوعٍ ما مِن الإله أو الآلهة. بعد أنْ أقامت المُدرِّسة سوليفان Miss Sullivan وسيلة اتِّصال مع هيلين كيلر Helen Keller التي كانت ضريرة وصمَّاء وبكماء، شعرت أنَّها تريد أنْ تخبرها عن الله. وبمجرَّد أنْ بدأت تُخبرها عن يسوع؛ أجابت هيلين كيلر بانفعالٍ عظيم: "أعرفه! أعرفه! أنا فقط لم أكن أعرف اسمه".

(٨) القدِّيس غريغوريوس النِّيصي عن معرفة الله:

إنَّ هذا الذي يطلب الله سوف يجده بطُرُقٍ أكثر عمقًا وذات مغزى.كان للقدِّيس غريغوريوس النِّيصي St. Gregory of Nyssa المُتصوِّف نظرة عميقة في الطَّبيعة الديناميكيَّة لبحثنا عن الله، ويُشبِّه الله بينبوع ماء يتدفَّق مِن الأرض، فكتب وقال:

> **[في اقترابك مِن النَّبع، ستندهش عند رؤيتك أنَّ المياه كانت كما لو كان لانهاية لها حيث تتدفَّق وتصب، ومع ذلك لا تستطيع أنْ تقول أبدًا إنَّك رأيتَ كلَّ المياه. كيف يمكنك أنْ ترى ما لا يزال مُخبَّأً في حضن الأرض؟ ومهما كانت المدَّة التي تقضيها عند النَّبع، فإنَّك كنتَ دائمًا تشعر كما لو كنتَ تبدأ في رؤية الماء، لأنَّ الماء لا يتوقَّف أبدًا عن التدفُّق، ويبدو دائمًا كما لو كان في الظُّهور والتدفُّق مِن جديد. إنَّه نفس الشَّيء مع مَن يُثبِّت نظره على جمال الله اللامتناهي، حيث يتمُّ اكتشافه باستمرار مِن جديد، ويُنظر إليه دائمًا على أنَّه شيءٌ جديد وغريب مقارنة بما فهمه العقل بالفعل. وبينما يستمرُّ الله في الإعلان عن ذاته، يستمرُّ الإنسان في التعجُّب، وهو لا يستنفد رغبته أبدًا في رؤية المزيد، حيث إنَّ ما ينتظره هو دائمًا أكثر روعة وأكثر قدسيَّة عن كل ما شاهده بالفعل]** (الشَّرح على نشيد الأنشاد ٥: ٢، العظة الحادية عشرة).

يمكن أنْ تكون مهمَّة معرفة الله تجربة مُثيرة ومُجزية للغاية.

ذات مرَّة قارن يسوع نفسه بينبوع ماء عندما قال للمرأة السامريَّة:

+ «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا. وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يو ٤: ١٣-١٤).

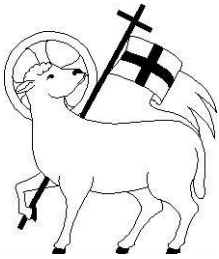

ادخل إلى العمق

كنوز روحيَّة من رموز العهد القديم

تيس عزازيل

(تيس الانطلاق والحرية)

تمهيد:

بعد أن أَعطى الربُّ لموسى النبيِّ شريعة التطهير من البَرَص (الذي هو رمز الخطية)، وذلك بتقديم ذبيحة العصفورين، وذبْحِ إحداهما وإطلاق الآخر في النهاية. كما نقرأ في سِفْر اللاويين – أصحاح ١٥؛ نراه أيضًا يشرح له طقسًا مُشابهًا ليصنعه يوم الكفَّارة، في الشهر السابع في عاشر يوم من الشهر (انظر: لا ١٦: ٢٩)، وذلك بتقديم ذبيحة خاصة، عُرِفت "بتَيْس عزازيل". وقال الربُّ لموسى إنَّ هذه الذبيحة فريضة دهرية للتكفير عن بني إسرائيل من جميع خطاياهم، تُقدَّم مرَّةً واحدة في السنة.

وقد تعدَّدت التفاسير حول معنى كلمة "عزازيل" ومغزاها، ورموز هذه الذبيحة ودلالاتها؛ التي تحقَّقت وانكشفت لنا رمزيتها في العهد الجديد. ولم يعُد هناك حاجة - فيما بعد - لتكرارها أو مُمارسة طقوسها، بعدما دخل المسيح نفسه (حَمَل الله) مرةً واحدة إلى الأقداس بدم نفسه، فوجد فداءً أبديًّا، وصنع تقديسًا وتطهيرًا دائمًا لأرواحنا وضمائرنا، وكَفَّر عن كلِّ خطايانا بدمه، وأبطل بذبيحة نفسه كلَّ ذبائح العهد القديم.

ماذا تعني كلمة "عزازيل":

كلمة "عزازيل" هي النُّطق العبري للكلمة، كما وردت في كلِّ ترجمات ومخطوطات الكتاب المقدَّس، ويوجد إجماع من كلِّ دارسي العهد القديم على اعتبار أنَّ هذه الكلمة ومُرادفاتها هي اسم معنى ورمز، وليست اسم كائنٍ شيطاني أو ملاك أو إله. فالكلمة لم تَرِد سوى في سفر اللاويين، في سرد شريعة ذبيحة يوم الكفَّارة فقط، لتُشير إلى التَّيس **المعزول** والمُعدِّ **للإطلاق** في البريَّة، أو ما يُعرَف بتَيس الفداء، عِوَضًا عن الآخر المذبوح للكفَّارة كذبيحة خطية. وصار هذا الاسم معروفًا وثابتًا كاسم معنى ورمز لرفض **وعزل** الخطية.

ويقول قاموس **سترونج**[١] (العبري) عن هذه الكلمة: إنَّ كلمة "عزازيل" تنقسم إلى

(١) قاموس سترونج (عبري/ انجليزي) : H5799.

مقطعين: **عز = تيس، زيل = نزول** أو **انحدار** أو **انطلاق؛** ويُفيد المعنى: إنَّه التَّيس الذي يُعزَل تمهيدًا لإطلاقه. كما يُشير إلى تيس الماعز الذي يُستخدَم في التضحية من أجل خطايا البشر. لذلك اعتُبِر أنَّه رمزٌ **لعزل الخطية والذنب وطردهما** تمامًا من موضع سُكْنى الشعب، وأنَّ مكان سُكناه هو في البرِّية البعيدة، إشارة إلى المغفرة الكاملة والحرِّية التامة والانطلاق الحقيقي.

أما في قاموس **(دافيد سجيث)**[٢]: فيذكر في تفسير الكلمة أنها تنقسم إلى: عز = تيس الماعز، زيل وهي تعني: إمَّا: ١- **الهاوية**: حيث يُلقَى فيها تيس الغفران في طقوس تقديم ذبيحة المحرقة (بحسب التفسير اليهودي لتقديم الذبيحة الوارد بسفر اللاويين). ٢- **جهنم**: أي **اللعنة**، ومنها (وادي بني هَنُّوم)، حيث يُطلق إليه تَيس الماعز الحامل الخطية. ٣- **كبش المحرقة** (الفداء).

فاسم عزازيل، والتَّيس المُسمَّى باسمه، يعني ببساطة: تَيس العزل أو الانطلاق والفداء؛ وهو الذي حَمَل خطايا الشعب وعُزل إلى البريَّة بعدما افتداه التَّيس الآخر الذي قُدِّم كضحيَّة وكفَّارة عن خطايا الشعب. وكما عُرِف لفظيًّا - في اللغة العبرية - **بتيس العزل**، فقد دُعِيَ أيضًا بتيس الخطية والانطلاق؛ لكونه حَمَل الخطية وألقاها بعيدًا وانطلق للبريَّة متحررًا من وطأة دينونتها، التي حملها عنه التَّيس الآخر الذي افتداه (تيس قرعة الربِّ)، والذي يُشير لذبيحة المسيح.

القرعة والاختيار:

يقول الوحي في سفر اللاويين: «وَيَأْخُذُ (أي هارون) التَّيْسَيْنِ وَيُوقِفُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ. وَيُلْقِي هَارُونُ عَلَى التَّيْسَيْنِ قُرْعَتَيْنِ: قُرْعَةً لِلرَّبِّ وَقُرْعَةً لِعَزَازِيلَ. وَيُقَرِّبُ هَارُونُ التَّيْسَ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِلرَّبِّ وَيَعْمَلُهُ **ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ**. وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ **حَيًّا** أَمَامَ الرَّبِّ، لِيُكَفِّرَ عَنْهُ لِيُرْسِلَهُ إِلَى عَزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ» (لا ١٦: ٧-١٠).

١ - **قرعة للربِّ (**ذبيحة الخطية): «وَيُقَرِّبُ هَارُونُ التَّيْسَ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِلرَّبِّ وَيَعْمَلُهُ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ» (لا ١٦: ٩). كانت الذبائح في العهد القديم تُمثِّل ظِلًّا للخيرات العتيدة، والأمور المتيقَّنة أن تتمَّ في العهد الجديد مُكمِّلة الخلاص المُنتَظَر للإنسان منذ

(٢) قاموس دافيد سجيث (عبري/ عربي) - ص ١٣١٢.

القديم. وكان كلُّ شيء تقريبًا يتطهَّر ويتقدَّس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة (انظر: عب ٩: ٢٢). ولكن هيهات لدم ذبائح ودم تيوس وثيران أن ترفع وطأة ونير الخطية وآثارها المُميتة عن الإنسان، لكنها وُضِعت له كظلٍّ لأمورٍ عتيدة مزمع أن تأتي لتُكمِّل خلاصه، بعد أن تتهيَّأ نفسه لإدراك قصدها الإلهي. لذلك يقول الوحي الإلهي: «... ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. ثُمَّ قُلْتُ: هَأَنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي» (عب ١٠: ٥-٧).

وكانت ذبيحة الخطية تُقدَّم لله تكفيرًا عن الخطايا وتطهيرًا وتقديسًا للإنسان، وكانت تُحرَق بكاملها بالنار في القُدْس أمام الله، وهذه كلها تحقَّقت في المسيح يسوع الذي حَمَلَ خطايانا في جسده على الخشبة، وكفَّر عن آثامنا (انظر: ١بط ٢: ٤٢)، وسَفَكَ دمه الثمين ليفتدينا من الموت، كما قال إشعياء النبي عنه: «أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ» (إش ٥٣: ١٠).

فقرعة الربِّ كانت تُحدِّد التَّيس (الذبيحة) الذي يُقدَّم كذبيحة خطية أمام الربِّ، لتُكفِّر عنهم وتفتدي رئيس الكهنة والشعب من وِزْر خطاياهم. وكانت هذه الذبيحة تُعلَّم وتُفرَز إعدادًا للذبح، مثلما حدث مع الربِّ يسوع حينما أُسلِم من أجل خطايانا وأُقيم من أجل تبريرنا (انظر: رو ٤: ٢٥)، فقد وَضَع الربُّ عليه إثم جميعنا، وأسلَمه بيلاطس لأيدي صالبيه، فخرج وهو حاملٌ صليبه ليفتدينا بدمه! ويُشير العلَّامة أوريجانوس إلى منظر يسوع في محاكمته أمام بيلاطس، ويُقارن بينها وبين قرعة الربِّ التي تقع على تيس **(ذبيحة الخطية)** التي كانت تُقدَّم في القديم، فيتعجَّب كيف ارتفعت أصوات الشعب ورؤساء الكهنة لتُقرِّر أن يكون يسوع هو ذبيحة الخطية، فيقول: [قُدِّم التَّيس الأوَّل ذبيحة للربِّ، بينما طُرد الثاني حيًّا. اسمع في الأناجيل يقول بيلاطس للكهنة وللشعب اليهودي: «مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسَ أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟!» (مت ٢٧: ١٧). حينئذ صرخ كلُّ الشعب أن يُطلِق باراباس لكي يُسلَّم يسوع للموت][٣]. وهكذا أخذه بيلاطس وقدَّمه **(قرعة للربِّ)** ليُصلَب، وأطلق لهم باراباس لينال حريته وينطلق إلى العالم (تيس الانطلاق)!

فالحَمَل الحقيقي صار **(قرعة الربِّ)**، ليفتدي العالم كلَّه، أمَّا البريَّة والعالم فذهب إليها

(٣) من تفسير وتأملات الآباء الأوَّلين - سفر اللاويين - القمص تادرس يعقوب، ص ١٦٨. (In. Lev. hom 9:3).

باراباس مُنطلقًا ليَنْعَم بالحرية التي حرَّره بها الابن حامل خطايا العالم. وتحقَّقت في الربِّ يسوع نبوَّة رئيس الكهنة؛ بِكَوْن موت يسوع (**كذبيحة خطية** عن الشعب) هي التي ستفدي الشعب كلّه، إذ قال: «أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا، وَلَا تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا» (يو ١١: ٤٩، ٥٠).

٢- **القرعة لعزازيل** (تَيس العزل - الانطلاق - الفداء): «وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ حَيًّا أَمَامَ الرَّبِّ، لِيُكَفِّرَ عَنْهُ» (لا ١٦: ١٠)، «وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ، وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ، وَيُرْسِلُهُ بِيَدِ مَنْ يُلاَقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، لِيَحْمِلَ التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ، فَيُطْلِقُ التَّيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ» (لا ١٦: ٢١ ، ٢٢).

لكن كيف يقف تيس عزازيل (تيس العزل والانطلاق) **حيًّا** أمام الربِّ؟

يقول الربُّ يسوع: «فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الاِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا» (يو ٨: ٣٦). فالربُّ بعدما قدَّم نفسه ذبيحة إثم على الصليب لأجلنا، عاملًا الصُّلْح لنا مع الآب بدم صليبه، وبعدما أقامنا معه من الموت وصعد إلى السماء؛ فقد أرسل لنا روحه القدوس ليُعضدنا ويهبنا روح الحياة والتَبنِّي لله، لكي نقدر أن نقف أمامه ونُخاطب الآب كبنين قائلين: «يَا أَبَا الآبُ» (رو ٨: ١٥). فعطية الروح القدس الذي أعطاه المسيح (الذبيح الأعظم) لنا، قد وهبتنا أن نكون مؤهَّلين للوقوف **أحياء** أمام الآب السمائي، لأننا اشتُرينا بدمٍ ثمين ونلنا منه **روح الحياة**، الذي هو الروح القدس، فصرنا أحياء لأنه هو حيٌّ. وكما انطلق تيس عزازيل حرًّا بعد ذبح تيس ذبيحة الخطية أمام الله؛ هكذا نلنا نحن العتق بدم المسيح، وإذ قد ملأنا من روحه ونور وصاياه المُحيية، فقد تهيَّأنا لأن ننطلق لنُنير في بريَّة هذا العالم، شاهدين لِمَن حرَّرنا وقدَّمنا أحياءً ومقدَّسين وأطهارًا من كلِّ إثم لله أبيه.

ومن المهم لنا هنا أن نُدرك أنَّ على كلِّ إنسانٍ مِنَّا أن يتهيَّأ لأَخْذ نصيبه وشركته في قرعة الرب؛ وذلك حتى يَنْعَم بشركة آلامه، فيستحِق أن يحوز مجد قيامته ونصرته، لأنَّ مَنْ يهرب من الضيقة والآلام يهرب من الله. ولنتذكَّر اللص اليمين المُعلَّق على الصليب، كيف بإيمانه واعترافه صارت قرعته من نصيب الربِّ، وأرسله إلى الفردوس علانية؛ بينما اللص الذي عن اليسار، والذي رَفَضَ الربَّ، فأُرسِل إلى بريَّة الجحيم (كما يذكر أوريجانوس)، لأنه لم يكن من قرعة الربِّ.

وبالمثل أيضًا، كلُّ مَنْ خلَّصهم الربُّ يسوع - بموته الكفَّاري - من دينونة الموت، وصَيَّرهم أطهارًا وقدِّيسين، وأبرأ أسقامهم، عليهم ألَّا يعودوا إلى قيئهم وخطاياهم، فيفشلوا من قرعة الربِّ، ويصيروا تائهين في بريَّة هذا العالم (بريَّة العزل)، منتظرين دينونة رفضهم لدعوة الاغتسال بدم المسيح المُخلِّص. ولنتنبَّه لحديث الربِّ يسوع لمريض بِركَة بيت حسدا بعد أن شفاه حينما قال له: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلَا تُخْطِئْ أَيْضًا، لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ» (يو ٥: ١٤).

ويقول العلَّامة ترتليان أيضًا، مُلمِّحًا إلى أنَّ عمل التيس الثاني: (تيس العزل أو الانطلاق)، هو مُكمِّلٌ لعمل التَّيس الأول، فيقول: [إنَ التَّيس الثاني هو المُكمِّل لعمل التَّيس الأول، فالأول هو الذبيحة التي تُقدَّم (على المذبح) ويتناولها الروحانيون في بيت الربِّ. أمَّا التَّيس الثاني المُنطلق إلى البريَّة، فيُشير إلى الربِّ أيضًا، الذي طُرِد خارج المحلَّة، ونحن نشابهه في خروجه أيضًا إلى خارج المحلَّة][٤]. وعلى ذلك علينا أن نسلك نحن أيضًا مثله، ونخرج للشهادة والنور في بريَّة هذا العالم، فنستحِق أن نتمجَّد معه أيضًا.

إبداع الطقس:

رأينا كم يتجلَّى الطقس اليهودي بإسهابٍ، في سرد خطوات ومراحل تقديم ذبائح يوم الكفَّارة، كما يشرحه الروح القدس في سِفْر اللاويين؛ ممَّا يُبيِّن مدى روعة التشبيهات والرموز عن ما هو آتٍ، وما سوف يتحقَّق في ملء الزمان!

فالتَّيسان اللذان قُدِّما وعُملت لهما القرعة، حملا أسرارًا عن ذبيحة المسيح الخلاصية. **فالتَّيس الأول**، صاحب قرعة الربِّ، والذي قُدِّم ذبيحة خطية عن الشعب، كان رمزًا وإشارة **لذبيحة المسيح وموته** الذي صار للعالم كلِّه ذبيحة فصح وخلاص أبدي، بموته بالجسد عنَّا، الذي به **أمات** الخطية وأحيانا، بعدما حَمَلَ ثقل خطايانا وكفَّر عنها بدم نفسه الأزلي. أمَّا **التَّيس الثاني**، تَيس الانطلاق أو العزل، فكان رمزًا **للقيامة العتيدة** ومثالًا للإنسان الذي نال حريته، وأدرك القيامة والحياة - بعدما تطهَّر بدم المسيح وانتُزِعت خطيته - وتأهَّل للوقوف حيًّا أمام الآب، ثمَّ انطلق حرًّا إلى البرِّية شاهدًا وكارزًا في كل أقطار المسكونة، مُخبرًا بفضل مَنْ فداه ودعاه من الظلمة إلى نوره العجيب. كذلك أيضًا صار إطلاق التَّيس الثاني إشارة لِمَا نلناه نحن من غفرانٍ وصفح وحرية بعدما دفع المسيح (مثال التَّيس الأول) عنَّا ثمن اعترافنا وقدَّم نفسه ذبيحة خطية لفدائنا. فلنُمجِّده ونحمده على عظيم رحمته.

---

(٤) سفر اللاويين - القمص تادرس يعقوب، ص ١٧٣. (Marcion 3:7. - An Answer to the Jews 14, Adv).

دراسات ليتورجيّة

الحياة اللّيتورجيَّة لكنيسة الإسكندرية[1]

(٢)

القرن الثالث الميلادي

بدء ظهور الكنائس على سطح الأرض:

حينما حلَّ سلامٌ مؤقَّت في أيام جاللينوس حوالي سنة ٢٦٢م، بدأت الكنائس تظهر على سطح الأرض. ولكن ما لبث أن ثار اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤- ٣٠٥م) سنة ٣٠٣م، حتى كان هدم الكنائس عُنصرًا أساسيًّا فيه. ويُعرَف من سيرة البابا ثيئوناس (٢٨٢- ٣٠٠م)، أنَّه أوَّل بابا يُذكَر عنه أنه بنى كنيسة، وكانت على اسم السيدة العذراء بالإسكندرية. ويُشير القديس إبيفانيوس (٣١٥- ٤٠٣م)، في كتابه "ضد الهرطقات"، والذي كتبه سنة ٣٧٥م، إلى وجود عشر كنائس، كانت قائمة في مدينة الإسكندرية في زمانه. ومن أشهر هذه الكنائس "كنيسة البوكاليا"، وهي موضع استشهاد القديس مرقس الرسول. ويُذكَر أيضًا كنيسة البابا ديونيسيوس (٢٤٦- ٢٦٤م)، كنيسة البابا ثيئوناس (٢٨٢- ٣٠٠م)، والتي تحوَّلت إلى جامع عُرف باسم "الجامع ذو الألف عمود". وفي مصر القديمة بُنيت أقدم كنيسة بحصن بابليون، باسم سرجيوس وواخس.

الملامح اللّيتورجيَّة للكنيسة الإسكندريَّة في القرن الثّالث الميلادي

عند العلَّامة كليمندس الإسكندري:

للعلَّامة كليمندس (١٥٠- ٢١٥م)، ثلاثة كُتُب أشهرها: "دعوة لليونانيين"، "المُربِّي"، "المُتفرِّقات"، ومن هذه الكتابات نتعرَّف على المُمارسات الليتورجيَّة التي كانت على أيامه.

+ كانت هناك "أوقات مُحدَّدة للصَّلاة"، في ساعات الثالثة والسادسة والتاسعة، كذلك في ساعة الاستيقاظ من النوم، وقبل الإيواء للفراش، وأثناء الليل. ولكن لم يُعرَف إن كان يقصد بذلك صلاة فرديَّة خاصة، أو خدمة عامة يوميَّة يجتمع فيها الشَّعب بأكمله في الكنيسة.

+ وعن كيفية الذهاب للكنيسة يقول:

---

(١) نستكمل في هذا العدد ما بدأناه في العدد السابق عن تقديم موجز عن التاريخ اللّيتورجي لكنيسة الإسكندرية، وهو عن كتاب للراهب أثناسيوس المقاري، صدر بنفس الاسم، سنة ٢٠١٨.

[النِّساء والرِّجال، عليهم أن يذهبوا للكنيسة بهدوء ونظام وسكون، وفيهم محبَّة صادقة، أطهارًا بالجسد، وأطهارًا بالقلب، لكي يكونوا لائقين للصَّلاة أمام الله. وعلى النِّساء، بوجهٍ خصوصي، أن يلتفتن إلى ذلك بالأكثر. ولتكن المرأة مُغطَّاة ... وهكذا كُلُّ مَنْ كرَّس نفسه للمسيح، عليه أن يسلك خارج الكنيسة، بنفس السلوك الذي كان عليه داخلها].

+ ويتكلَّم العلَّامة كليمندس الإسكندري عن استقرار الدرجات الكهنوتيَّة الثلاث في كنيسة الإسكندريَّة، منذ ذلك الوقت المُبكِّر من تاريخها، وهي درجات الأسقفيَّة والقسيسيَّة والشَّماسيَّة.

+ كما يتحدَّث أيضًا عن صلاة الشُّكر، ثم قراءات من فصول كتابيَّة في الكنيسة، يتبعها العظة، ثمَّ عن القُدَّاس الإلهي، ثمَّ عن التَّسبيح أثناء التَّناول، وأخيرًا البَركة الختاميَّة.

+ ومن كتاباته تَرِد إلينا أوَّل إشارة عن طريقة مُمارسة القُبلة المقدَّسة في القُدَّاس الإلهي. وأيضًا عن الوقت الذي بدأت تتحوَّل فيه القُبلة من التقبيل بالفم، إلى المُصافحة باليد فقط.

+ يُقدِّم لنا العلَّامة كليمندس أقدم إشارة عن التسبيح بالمزمور المائة والخمسين في كنيسة الإسكندرية، وأيضًا عن التَّقليد القديم المستقر في عدم استخدام الآلات الموسيقيَّة أثناء الصلاة.

+ وهو أوَّل مَنْ أشار إلى مُمارسة صومَي الأربعاء والجمعة، كذلك حفظ يوم الرب، لأنه يوم القيامة.

+ كذلك أشار إلى وقت إقامة الأسرار، بأن يكون في الليل، إشارة لانطلاق النفس من الجسد التي تحدث ليلًا. كذلك قدَّم أقدم إشارة عن ضرورة الصَّلاة شرقًا. فالاتجاه للشرق في الصلاة، هو رمزٌ للمسيح شمس البر ونور العالم. وكما أن النور يأتي من الشرق، ويُضيء إلى أقصى الغرب؛ هكذا يكون مجيء ابن الإنسان (مت ٢٤: ٢٧).

عند العلَّامة أوريجانوس:

العلَّامة أوريجانوس (١٨٥- ٢٥٤م)، هو أكبر عقليَّة أنجبتها الكنيسة على الإطلاق. في عصره برزت مدرسة الإسكندريَّة المسيحيَّة، والتي اشتهرت باسم: "مدرسة الموعوظين"، وصارت أول مدرسة لاهوتيَّة في العالم المسيحي، تُدرَّس فيها العلوم الدينيَّة، إلى جانب العلوم الدنيويَّة أيضًا، كالطب والهندسة والموسيقى والفنون والفلسفة، لكي تُنافس مدرسة الإسكندريَّة الوثنيَّة. وقام العلَّامة أوريجانوس بتطوير نظام مدرسة الموعوظين، إذ قام بتقسيم المدرسة إلى قسمين:

القسم الأول، جعله لتعليم المبتدئين؛ والقسم الآخر، لتعليم المتقدِّمين، أي الذين بلغوا درجة فكرية متقدِّمة.

إن دراسة كتابات العلَّامة أوريجانوس، تكشف لنا أنه هو الذي نحت أو صاغ كافة التعبيرات اللاهوتيَّة التي عُرفت في الكنيسة الجامعة بعد ذلك. بل لم يُضِفْ آباء الكنيسة من بعده شيئًا يُذكر.

+ يتكلَّم العلَّامة أوريجانوس عن الاتجاه للشرق في الصَّلاة، مُعلِّلًا ما سبق وقاله العلَّامة كليمندس.

+ يُطلعنا على تقليد الكنيسة القديم، الذي يبدأ الصلاة بالذُّوكصا، ويختمها بالذُّوكصا أيضًا، وهو نفس ما تُمارسه الكنيسة حتى اليوم، سواء في ليتورجيَّة القداس، أو في صلوات السَّواعي.

+ يشرح أن الاعتراف بالخطايا في زمانه كان على مستويين: الأوَّل، العلني أمام الجماعة، وهو الأقدم في الكنيسة؛ والثاني، هو على المستوى السِّرِّي، أي الاعتراف الشَّفهي على الكاهن.

+ يُشير إلى عادة، بَطُلَت منذ زمانه، وهي غسل الرِّجلين قبل الإفخارستيَّا. أمَّا عادة غسل اليدين، قبل الصَّلاة، فهي ظلَّت سارية حتى اليوم، سواء قبل الصَّلاة في البيت أو في الكنيسة.

+ يذكر أنه توجد في القداس أواشي لأهوية السماء، وثمرات الأرض، ومياه الأنهار، مُعتبرًا أن لكلٍّ منها ملائكة مُخصَّصين. كما يُشير إلى أوشية الراقدين، وأوشية الملك، وأوشية القرابين.

+ يُنبِّه المتناولين من الأسرار المُقدَّسة، على الحرص والاجتهاد. ويُحذِّر الكهنة والشَّمامسة الذين يُساعدون في إقامة الأسرار ويحملون جسد الرَّب، أن يكونوا في انتباهٍ شديد، لئلا يقع جزءٌ منه على الأرض، أو يضيع أجزاء من القرابين، أو تغيب عن نظرهم، إذ يقول: "احسبوا هذا جريمة".

+ أوَّل مَنْ أشار أن المسيحيَّة قد انتشرت على طول البلاد، أي يقصد المصريين خارجًا عن مدينة الإسكندرية.

+ يُعدِّد العلَّامة أوريجانوس طرائق مغفرة الخطايا: ١- المعمودية. ٢- تحمُّل الاستشهاد.

٣- خلال الصَّدقة. ٤- مغفرتنا لخطايا إخوتنا. ٥- مَنْ يردُّ خاطئًا عن ضلال طريقه. ٦- غزارة المحبة للآخرين. ٧- أعمال التوبة. ٨- التناول من جسد الرَّبِّ ودمه الكريمَيْن.

عند البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٦- ٢٦٤م):

+ هذا البابا هو أوَّل بابا إسكندري له كتابات ورسائل تكشف عن فصاحة الأسلوب وعذوبته، وهي تُعدُّ من أوائل الإشارات اللّيتورجيَّة الموثَّقة. حارب بدعة "المُلك الألفي"، تلك التي انتشرت في الفيوم، فقد ادَّعي أُسقفها بأن المسيح سوف يملك على الأرض ألف سنة! وحدث انشقاقٌ، بل ارتداد كنائس بِرُمَّتها، لكن استطاع البابا ديونيسيوس أن يُعيد الجميع إلى الإيمان الصَّحيح.

+ وقد نَمَت الكنيسة بسرعة في زمان هذا البابا. وحدث تحوُّل من استخدام اللُّغة اليونانية إلى استخدام اللُّغة القبطية في الكرازة المسيحية لعامة الشعب من الأقباط.

آثار المسيحيين الأوائل من أصل يهودي
على كنيسة الإسكندرية في القرن الثالث الميلادي:

+ غالبًا كان للمسيحيين من أصل يهودي تأثيرٌ خطير وكبير على الكنيسة في بداية القرن الثالث، حتى أن العلَّامة كليمندس الإسكندري (١٥٠- ٢١٥م) كتب مؤلَّفًا عن "القانون الكنسي" أو "ضد المتهوِّدين"، أي المسيحيين المُتمسِّكين بالعوائد اليهودية.

+ يُحذِّر العلَّامة أوريجانوس (١٨٥- ٢٥٤م) من المُمارسات اليهوديَّة مثل: الختان والصوم. ويتحدث عن مسيحيين يذهبون إلى كلٍّ من المجمع اليهودي والكنيسة. كما يتحدَّث أيضًا بكل وضوح عن مسيحيين من أصل يهودي، كجماعةٍ مستقلَّة. ويقول بأن عددهم لا يتعدَّى مائة وأربعة وأربعون ألفًا، المذكورين في سِفْر الرؤيا.

+ كان "إنجيل العبرانيين" منتشرًا في كنيسة مصر، وهو من أوضح الأدلة التي تُشير إلى استمرار اليهود المؤمنين بالمسيح في صبغ طقوسهم اليهوديَّة بصبغةٍ مسيحيَّة. فهو الإنجيل ذو الأصل اليهودي المسيحي الذي جرى تداوله في فلسطين، وكانت فيه شخصيَّة يسوع التَّاريخيَّة ذات أهمية قصوى. وهو ذاته الذي عَرَفَه اليهود المسيحيُّون الأوائل في مصر، وإن لم تكن به شائبة غنوسيَّة. **(يتبع)**

بحث تاريخي

دير القديس الأنبا بلامون السائح الأخميمي (٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي

أستاذ الآثار والفنون القبطية

ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

(تابع) أهمية الدير ومكتشفاته:

تجدر الإشارة إلى أنه في عام ١٩٤٥، اكتُشِفَت برديات مسيحية في مدافن القرية بالقرب من دير القديس الأنبا بلامون السائح بالقصر والصياد. وترجع هذه البرديات إلى القرن الرابع الميلادي. وهي محفوظة حاليًا في المتحف القبطي بالقاهرة. وكُتِبَت هذه البرديات باللغة القبطية وباللهجة الصعيدية شأنها شأن أغلب البرديات التي عُثِرَ عليها في صعيد مصر. وتحتوي بعض هذه البرديات على أناجيل غير مُعتَرف بها من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، إضافة إلى برديات آخرى منها تتضمَّن فصولًا من الأفلاطونية. وجديرٌ بالذِّكْر أيضًا أنه بالقُرب من دير القديس الأنبا بلامون السائح، عُثِرَ على بعض المقابر المصرية القديمة التي ترجع إلى عصر الأُسرة السادسة في الدولة القديمة مثل مقبرتَي إيدو وزاوتا.

عمارة الدير:

يُحيط بكل مباني دير القديس الأنبا بلامون السائح سور خارجي طويل. وتتعدَّد القباب التي تعلو كنائسه. كما تتعدَّد أبراجه **(الشكل رقم ٣)** ومداخل ومخارج مبانيه المختلفة **(الشكل رقم ٤)**. ويتكوَّن الدير من ست كنائس تتنوَّع في أحجامها وأشكالها، وهي:

الشكل رقم ٣. أبراج دير القديس الأنبا بلامون السائح.
https://www.coptichistory.org/new_page_2362.htm

الشكل رقم ٤. أحد مداخل دير القديس الأنبا بلامون السائح.
https://www.coptichistory.org/new_page_2362.htm

١- كنيسة القديس الأنبا بلامون السائح:

يتم النزول إلى أنقاض الكنيسة الأثرية حوالي مترين تحت سطح الأرض. ويُعتَقَد أن هذه الكنيسة شُيِّدت على أنقاض مغارة القديس الأنبا بلامون السائح بعد فترة وجيزة من نياحته. وقد أُعيد بناؤها وتجديدها عدَّة مراتٍ بنفس الأسلوب والتخطيط المعماري القديم.

وتتكوَّن الكنيسة الحديثة للقديس الأنبا بلامون السائح من ثلاثة هياكل رئيسية: يُعرف الأوسط منها باسم القديس الأنبا بلامون السائح. أمَّا الهيكل الجنوبي، فهو هيكل السيدة مريم العذراء. وكُرِّس الهيكل الشمالى للقديس يوحنا المعمدان، وإن كان البعض يعتقد أنه هيكل القديس أثناسيوس الرسولي. وصحن الكنيسة على نمط كنائس العصور الوسطى، حيث خُصِّص للسيدات مكانٌ خاص بهم في الدور الثاني. وتوجد معمودية الكنيسة في الجزء الجنوبي الشرقي منها.

وتتميَّز قُبَّة الكنيسة بأسلوبها المعماري النادر. وهي مُزيَّنة من الداخل برسوماتٍ جدارية بديعة تظهر فيها مناظر دينية هامة كميلاد السيد المسيح وقيامته وصعوده، وكلها موضوعات زخرفية شائعة في الفنون القبطية المتنوعة. كما يُزخرف سقف كنيسة القديس الأنبا بلامون السائح أيضًا منظران زخرفيان هامان، حيث يظهر السيد المسيح في المنظر الأول مع بيلاطس البنطي. وفي المنظر الزخرفي الثاني، نرى الغَني ولعازر. وقد تجدَّدت كنيسة القديس الأنبا بلامون سنة ١٩٤٦. وأغلب أيقوناتها الجميلة هي من رسم الفنان شمعي البهجوري.

٢- كنيسة القديس مرقوريوس أبي السيفين:

قام ببنائها الأنبا مكاريوس أسقف قنا قبل نياحته. وفي سنة ١٩٩١، دشَّنها الحبر الأنبا تكلا مطران دشنا وتوابعها. وبداخل هذه الكنيسة ثلاثة مذابح رئيسية. يُعرَف الأوسط منها باسم القديس مرقوريوس أبي السيفين. كما خُصِّص المذبح الجنوبي منها للقديس تكلا هيمانوت الحبشي. ودُشِّن الهيكل الشمالي في هذه الكنيسة للقديسَيْن بطرس وبولس. وتوجد في هذه الكنيسة أجزاءٌ من رفات القديس مرقوريوس أبي السيفين. وقام برسم أغلب أيقونات هذه الكنيسة كلٌّ من الفنان يوسف نصيف وزوجته الفنانة بدور لطيف.

٣- كنيسة القديسة دميانة:

توجد هذه الكنيسة التي شيَّدها الخواجة لوقا يسَّى بشاي في سنة ١٩٠٧ على الطراز القبطي في غرب الدير. وهي أقدم كنائس الدير أو كل ما تبقَّى من عمارة الدير القديمة، لذا ينخفض مستوى أرضيتها عن مستوى سائر أراضي مباني الدير بحوالي مترًا ونصف المتر،

فيتم النزول لزيارتها عن طريق خمس درجات. وهي كنيسة صغيرة نسبيًّا وبها مذبحٌ واحد يحمل اسم القديسة دميانة. وبكنيسة القديسة دميانة، حامل أيقونات خشبي مُطعَّم بالعاج والصَّدَف من عمل المعلِّم رفيع الأخميمي. كما توجد حجرةٌ جانبية لمُناولة النساء، وتُعرف هذه الحجرة باسم: "بيت السر".

٤-كنيسة القديس مار جرجس:

وهي أحدث كنائس الدير، حيث شيَّدتها أميرة عجايبي زوجة الخواجة مينا بشارة. ونُفِّذ هيكل الكنيسة بمصانع ٦ أكتوبر للأساسات والأدوات الهندسية. وبها هيكل واحد طرازه قبطي، ويُعرف هذا الهيكل باسم: القديس مار جرجس. وأيقونات الكنيسة من عمل الأخوَيْن الفنانَيْن عماد وبضابا نسيم إلياس بلامون.

٥-كنيسة القديس تكلا هيمانوت الحبشي:

كُرِّست هذه الكنيسة للقديس تكلا هيمانوت الحبشي على غرار ما هو موجودٌ حاليًّا في الكنيسة المُعلَّقة للسيدة مريم العذراء في منطقة مصر القديمة بالقاهرة. وهي كنيسة بطابع كنائس الأديرة فلا يوجد بها مقاعد للجلوس.

٦-كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل:

توجد هذه الكنيسة المُشيَّدة على الطراز القبطي في الطابق الأخير من حصن الدير ملجأ الرهبان في أوقات هجوم الأعداء، وهي تعلو كنيسة القديسة دميانة. وقد بناها الخواجة غبريال قلادة القط عام ١٩٠٨، وبها هيكلٌ واحد يتقدَّمه حامل أيقونات خشبي ومُطعَّم بالعاج من عمل المعلِّم إبراهيم الرفيع الأخميمي. وبتشجيعٍ كبير من البابا شنودة الثالث، أعاد الأنبا مكاريوس أسقف قنا تجديد عمارة أغلب مباني هذا الدير قبل نياحته.

الخاتمة:

يُعتَبَر دير القديس الأنبا بلامون السائح الأخميمي من أهم وأقدم الأديرة القبطية التي بُنِيَت في صعيد مصر. ونظرًا لقدسيته الخاصة سواء من الناحية الروحانية أو المعمارية، يتردَّد عليه الكثيرون من مختلف البلدان والمحافظات المصرية، لأداء الصلوات والتسابيح، ولنيل بركة المكان، وللفوز بشفاعة واحد من أهم القديسين الأقباط في تاريخ الرهبنة القبطية، والذي كان وبحقٍّ بمثابة الأب الروحي لآلاف النُّسَّاك والرهبان والمؤمنين في القرن الرابع الميلادي. كما كان هذا الدير مفتوحًا دائمًا وملاذًا آمنًا لزواره واللاجئين إليه على مرِّ الفترات التاريخية المختلفة، لمعرفة العُمق التاريخي والحضاري لمبانيه المختلفة والمكان المُشيَّد به الدير.

وإلى جانب كل ما سبق، يتميَّز دير القديس الأنبا بلامون السائح الأخميمي بثراء المكتشفات الأثرية التي اكتُشِفَت بداخل أروقته وخارجها، لا سيما الرسومات الجدارية والأيقونات الأثرية الجميلة التي تُزيِّن الجدران الداخلية لمبانيه المختلفة القديمة والحديثة، وما يُغطِّيها من قبابٍ بديعة التكوين والتشييد والتزيين بما يشهد بمهارة وبراعة ودقَّة المعماريين الذين شيَّدوها والفنانين الذين زخرفوها، لتكون بمثابة كتابٍ مفتوح للباحثين عن أصل الحضارة القبطية ولمُحبي التراث القبطي المادي واللامادي والمُعبِّر عن الشخصية المصرية المُبدعة في ماضيها وحاضرها.

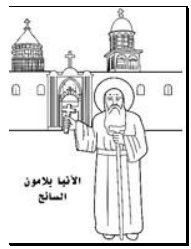

****

كيف يُجرَّب المسيح من الشيطان وهو الإله؟

سؤال ينقلنا مباشرة من التأمُّل في التجربة إلى التأمُّل في المسيح أولًا.

وإن مجرَّد ذِكْر كلمة "تجربة" يوصِّل فكرنا بمعنى الخطية، فالكتاب جعل التجربة متعلِّقة بالخطية على وجه العموم، سواء عن طريقٍ مُباشر فيُرادفها العقاب، أو عن طريق غير مُباشر فيُرادفها التزكية.

ولكن لا عن هذا الطريق ولا عن ذاك يمكن أن ننسب التجربة أصلًا!! فالمعروف قطعًا أن الله غير مُجرَّب بالشرور (يع ١: ١٣)، (حيث كلمة مُجرَّب هنا مبني للمجهول بتشديد الراء وفتحها)، بمعنى أنه يستحيل أن يدخل الله التجربة من قِبَل الشرير!!

فماذا تكون تجربة المسيح؟

هنا نعود مرةً أُخرى إلى جسد المسيح نتأمَّله: فالمعروف قطعًا وبحسب الإيمان أنَّ المسيح حُبِلَ به ووُلِدَ بلا خطية، **فهل كان بعد ذلك قابلًا للخطية؟** هذا أمرٌ مُحال بسبب اتِّحاد الجسد الذي بلا خطية بالكلمة اتِّحادًا أقنوميًّا.

(عن كتاب: "الصوم الأربعيني المقدَّس"، للأب متى المسكين، ص ٧٧)

****

التقاويم فلكيًا وأثريًا[(١)]

مؤسسة سان مارك لتوثيق التراث

تأليف: ملاك نصحي ملاك

أ. د. جودت جبرة

علم التقاويم يعني بدراسة التقاويم المختلفة لدى الشعوب. فمنذ ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، احتاج الإنسان إلى تسجيل ما يهمُّه في حياته الاقتصادية والدينية والسياسية. فظهرت في مصر وبلاد الرافدين وسوريا عدَّة تآريخ لسنوات حُكْم الملوك مرتبطة بالأحداث التي عاصروها. ومهمة المختص بدراسة التقاويم أن يستنتج التاريخ المُتعلِّق بالأحداث الإنسانية.

هذا الكتاب يشتمل على دراسة تحليلية لاثنين وعشرين تقويمًا تنتسب لحضارات العالم المتمدين، أدرجها المؤلِّف في خمس مجموعات لكلٍّ منها خصائص تُميِّزها: التقاويم المصرية (القبطية)، مجموعة التقاويم العبرية، مجموعة التقاويم الأرمنية والرومانية واليونانية، مجموعة التقاويم الميلادية، ومجموعة التقاويم الهجرية والفارسية الحديثة.

ويُهيِّئ المؤلِّفُ القارئَ ليُدرك مفهوم "السنة" فلكيًّا، موضحًا الحسابات المعتمدة على الفلك في تحديد عدد أيام كلٍّ من السنة النجمية والسنة الشمسية والسنة القمرية، والسنة الشمسية القمرية، كذلك يُبيِّن كيفية استخدام كلٍّ من التقاويم لإحدى هذه السنوات.

وأفرد المؤلِّف فصلًا بالغ الأهمية مُتناولًا بإسهابٍ حساب الأبقطي ودوره في تحديد موعد عيد القيامة، وهو أَمْرٌ كان يحتاج لمعرفة فلكية كبيرة وعمليات حسابية دقيقة.

وقد قدَّم المؤلِّف دراسة وافية للتقويم القبطي (تقويم الشهداء) الذي يبدأ في السنة الأولى لاعتلاء الإمبراطور دقلديانوس العرش عام ٢٨٤م. كما يتناول الكتاب دراسة تفصيلية للتقاويم المختلفة، وأنواعها، ومحاولة الربط بينها، ومِن ثمَّ معرفة التواريخ المُدوَّنة على القطع الأثرية.

وقد اعتمد المؤلِّف في إعداد هذه الدراسة الموسوعية على فحص العديد من المخطوطات المُتخصِّصة في علم التقاويم والمحفوظة في مكتبات ومتاحف مصر والعالم.

ويُعدُّ مخطوط: "كتاب التواريخ لابن الراهب" من أهم المخطوطات التي تبحث في دراسة التقاويم، وكيفية التقابُل بينها، وطريقة حسابها فلكيًّا، وهو المخطوط موضع الدراسة.

---

(١) الكتاب هو رسالة ماجستير قدَّمها الأستاذ ملاك نصحي ملاك في كلية الآثار والحضارة المصرية بجامعة حلوان، وصَدَر الكتاب عن مؤسسة سانت مارك لتوثيق التراث سنة ٢٠٢١. ويقع الكتاب في ٥٠٢ صفحة من القَطْع الكبير.

Our Duty during Lent[1]

Beginning of Lent, 1976
(Second part)

PERMIT ME to illustrate my appeal in this instance. Suppose you see a little child unaware of the dangers of standing on a railroad while a train is approaching at high speed. You have a short chance of saving his life, would you leave him? Suppose you say, "What have I to do with the lives of children? I am a monk seeking my own salvation." You thus refrain from running to save his life. Would you then be able to save yourself? What would you be in the eyes of the world or of the child's mother? This is a terrible question!

If such is the case regarding indifference to saving a child from under a train, how much more would negligence in saving a person from eternal damnation be? Is negligence in saving a whole church with its priests and ministers from the spirit of indifference regarding the salvation of people bordering on hell less dreadful than slackness in saving a child from under a train? Further, is laxness in saving the spirits of young men and women who perish in millions all over the world less dreadful than slackness in saving a child from under a train? Is it not a great sin not to feel sorry for the perdition of sinners without even caring to suffer for them? Further, is it not this particular sin that has brought the action of the Holy Spirit in the Church to a halt?

I dare even say that it is this particular sin that has pushed us into the dark and caused us to lose track of our own way, not knowing where we go, for the darkness of indifference has encompassed us on every side. How can we say that we live in the light or walk in the light while we actually do not love our neighbor (cf 1John 2:10) but, on the contrary, hate him even to death since we have left him to perish without even bending to save his life? We actually lie and do not tell the truth if we say, after all, that we love God or our neighbor.

It is true that we ought to save ourselves. However, is it acceptable that our brother should perish while we are able to save him, along with millions of other people, through prayer?

You might say, "I am a monk, am I responsible for whom I do not bear

[1] Matthew the Poor, *Sojourners* (Wadi al-Natrun, Egypt: St Macarius Press, 2019): 46-51. This letter is taken from the Arabic book *Rasā'il al-Qummus Mattā al-Miskīn* (Monastery of Saint Macarius, Wādī al-Natrūn 2007) and corresponds to letter 52, *al-Ni'ma wa-l-Kalima wa-l-Sirr* (Grace, Word and Mystery, 185-193).

responsibility?" This is just like saying, "Am I my brother's keeper?" (Gen 4:9). The claim that the responsibility for saving sinners lies on the priests and bishops who have made themselves pastors over them is answered by the Lord through the prophet Isaiah, who places us in a position of paramount responsibility:

> I have set watchmen on your walls, O Jerusalem; they shall never hold their peace day or night. You who make mention of the Lord, do not keep silent, and give Him no rest till He establishes and until He makes Jerusalem [the Church] a praise in the earth (Isa 62:6-7).

You might say, "Who am I to guard the whole Church and the world?" What use is my prayer to millions while I am a sinner? Such work is beyond the ability of mankind. "Is it not the work of heaven?"

In answer to this, the Bible adduces the example of Elijah, who "was a man with a nature like ours, and he prayed earnestly that it would not rain; and it did not rain on the land for three years and six months" (Jas 5:17). Does heaven then listen and respond to our pleas concerning rain, which has to do with the nourishment of plants and animals, but fail to listen or respond to our pleas concerning our salvation and our eternal life? Do not the Scriptures say that the spirit of Elijah goes before the Lord to prepare a way for Him (cf Lk 1:17)? Has that way come to an end? Are you not the Elijahs of this age? Is prayer a matter of risk? Is it not for the Father's glory?

On the other hand, God secures the response to prayer and verifies it with a personal guarantee to perform a miracle and open the heavens:

> Most assuredly, I say to you, he who believes in Me will do the works that I do, and greater works than these he will do, because I go to My Father. And whatever you ask in My name, that I will do, that the Father may be glorified in the Son. If you ask anything in My name, I will do it (Jn 14:12–14).

Here it becomes clear to us that the case of prayer and its response is confined within the strictest limits; Christ's only stipulation is "he who believes in Me" (Jn 14:12).

Therefore, the perdition of sinners defies our faith, and the devil also defies our faith. The whole world's present ordeal is caused by our lack of faith. The deep slumber of today's church and the feebleness of its clergy are but the work of our own flimsy faith!

What then? Shall we hold our peace against such defiance? Shall we bear the responsibility for the condemnation of those who perish? St. Paul calls upon you: "Examine yourselves as to whether you are in the faith." Test yourselves. "Do you not know yourselves that Jesus Christ is in you?" (2 Cor 13:5).

Is it not currently high time that we wrestle with God in prayer till dawn or even till death? Only then will our faith be vindicated and our prayers answered. Only then will the miracle take place and heaven open its gates. Only then will God send power from

on high to stir up the whole church and fulfill the desired salvation with strength and fervor. Everyone would then confess, repent, and accept God's gift that times of refreshing may come from the presence of the Lord.

Why have we lost the spirit of our fathers and our prophets? They stirred up heaven and the very heart of God himself. Is it difficult for us to do what Daniel did?

Then I set my face toward the Lord God to make a request by prayer and supplication, with fasting, sackcloth, and ashes. And I prayed to the Lord, my God, and made confession... Now while I was speaking, praying, confessing my sin and the sin of my people Israel, and presenting my supplication before the Lord my God for the holy mountain of my God, yes, while I was speaking in prayer, the man Gabriel... reached me. and he informed me, talked with me, and said, "O Daniel, I have now come forth to give you skill to understand. At the beginning of your supplications the command went out, and I have come to tell you, for you are greatly beloved" (Dan 9:3, 20–23).

God immediately responded to Daniel's petition. Or, is it difficult for us to do what Nehemiah did:

So it was, when I heard these words that I sat down and wept, and mourned for many days; I was fasting and praying before the God of heaven. O Lord, I pray, please let Your ear be attentive to the prayer of Your servant and to the prayer of Your servants who desire to fear Your name; and let Your servant prosper this day (Neh 1:4, 11).

We know that God effectively responded to Nehemiah and prospered all of his efforts to renew Jerusalem. Now, are we, with all the treasures of grace, the efficacy of the divine blood, the glory of the Cross, the triumph of the Resurrection and the gifts of the day of Pentecost, inferior to the Old Testament prophets?

Again, I would like to remind you, dear brethren, that the fault and blame do not lie in the slumbering Church, the degenerate youth, or the immoral world, but in ourselves—we whom God has set as guards of prayer over the walls of Jerusalem to guard the church in our nocturnal and daily watches. We have concerned ourselves with what belongs to us, and so our prayer has rebounded to our own bosom.

However, thanks be to God, who still persists in calling us to watch, sending out His voice at the beginning of the Great Lent, the season of prayer and weeping, the time for mourning and repentance, for sackcloth and sitting in the dust like the days of old. On her part, the Church continues to resound her plaintive tunes, reminding us of the victims who have forsaken her bosom never to return again, and awakening in us a sense of guilt, so that we may perchance wake up and recover our godly zeal to restore those who are still within her reach.

(1976)

✞✞✞

For what reason are your garments red?

«Bring me into the house of wine …
for I have been wounded by love» (Cant 2, 4-5LXX).

> How much (the soul) has already attained! May she thirst even more! And such is the vehemence of her thirst that the cup of Wisdom does not satisfy her (cf Pr 2: 9) […] She seeks to be brought into the vert house of wine, and to hold her mouth under the winevats themselves as they overflow with sweet wine, and to see the grape cluster being pressed in the vats and the vine that puts forth such a cluster and that Husbandman of the true vine whose work produces a cluster so sweet and thriving […] The bride also wants, in every way, to see into this mystery, namely, how the garments of the Bridegroom who has trodden the wine press are made red. It is with reference to this Bridegroom that the prophet says, «for what reason are your garments red, and your clothing, as one who treads the wine press» (Is 63:2)?
>
> *Saint Gregory of Nyssa, Homilies on the Song of Songs,* IV.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Γριγορίου ἐπισκόπου Νύσσης

Εἰσαγάγετέ με εἰς οἶκον τοῦ οἴνου, …
ὅτι τετρωμένη ἀγάπης ἐγώ. (Cant. 2:4-5)

> Πόσων ἔτυχεν (ἡ ψυχή) ἐν τοῖς φθάσασιν. καὶ ἔτι διψῇ. καὶ τοσαύτη τοῦ δίψους ἐστὶν ἡ ἐπίτασις, ὅ τι οὐκ ἀρκεῖται τῷ τῆς σοφίας κρατῆρι. […] ἀλλ᾽ εἰς αὐτὸν τοῦ οἴνου τὸν οἶκον παραχθῆναι ζητεῖ καὶ αὐταῖς ταῖς ληνοῖς ὑποσχεῖν τὸ στόμα, αἳ τὸν οἶνον τὸν ἡδὺν ὑπερβλύζουσι, καὶ ἰδεῖν τὸν βότρυν τὸν ταῖς ληνοῖς ἐνθλιβόμενον καὶ τὴν ἄμπελον ἐκείνην τὴν τὸν τοιοῦτον βότρυν ἐκτρέφουσαν καὶ τὸν γεωργὸν τῆς ἀληθινῆς ἀμπέλου τὸν οὕτως εὔτροφον τὸν βότρυν καὶ ἡδὺν ἐργαζόμενον· […] πάντως δὲ κἀκεῖνο βούλεται κατιδεῖν τὸ μυστήριον, πῶς ἐρυθαίνεται τῷ πατητῷ τῆς ληνοῦ τὰ τοῦ νυμφίου ἱμάτια, περὶ οὗ φησιν ὁ προφήτης Διὰ τί σου ἐρυθρὰ τὰ ἱμάτια καὶ τὰ ἐνδύματά σου ὡς ἀπὸ πατητοῦ ληνοῦ;
>
> W. Jaeger, *Gregorii Nysseni Opera*, Vol. VI, pp. 119, 120
> PG 53, 24-25.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 100.00; Single Copies U.S.$ 10.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2023 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK

March 2023

Monthly Review

Patriarch Abraham (d. 978), St. Simeon the Tanner, who advised the patriarch how to move the Muqattam mountain, in the presence of the caliph, and, in the upper right-hand corner, the Virgin appearing near a column in the Hanging Church.

[Icon painted by Ibrahim al-Nasikh (1750).]